سلسلة من خطب المسجد النبوي ٤

النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

من خطب المسجد النبوي



تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف


النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم
من خطب المسجد النبوي

ⓗ عبد المحسن بن محمد القاسم ١٤٤٣هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد المحسن بن محمد

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم من خطب المسجد النبوي .

/ عبد المحسن بن محمد القاسم - ط١. . - المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ

ص ١٣٦، ١٧ x ٢٤سم

ردمك: ٠-٨٤٥-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

١ـ السيرة النبوية ٢ـ الصحابة والتابعون أ. العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٤٣/٧١٢٩

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٧١٢٩

ردمك: ٠-٨٤٥-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ ـ ٢٠٢٢م



تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

يمكن تحميل هذه الخطب أو الاستماع لها على الرَّابط:
a-alqasim.com/khotab/



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَمَعْرِفَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَلَا سَبِيلَ لِمَعْرِفَةِ اللَّهِ إِلَّا بِوَاسِطَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَنْ زَادَتْ مَعْرِفَتُهُ بِهِ؛ قَوِيَتْ شَهَادَتُهُ لَهُ بِالرِّسَالَةِ، وَكَانَ حَرِيّاً أَنْ يُجِيبَ عِنْدَ سُؤَالِهِ عَنْهُ فِي قَبْرِهِ.

وَقَدِ اخْتَارَ اللَّهُ لِصُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ خَيْرَ صَحْبٍ لِنَقْلِ الرِّسَالَةِ إِلَيْنَا، وَحُبُّهُمْ وَمَعْرِفَةُ سِيرَتِهِمْ وَالذَّبُّ عَنْهُمْ مِنْ صِدْقِ المَحَبَّةِ لِقُدْوَتِهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَلِأَهَمِّيَّةِ مَعْرِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ؛ أَلْقَيْتُ خُطَباً عَنْهُمْ، فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، ثُمَّ أَفْرَدْتُهَا وَرَتَّبْتُهَا فِي هَذَا الكِتَابِ، فَبَلَغَتْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ (١٣) خُطْبَةً، وَسَمَّيْتُهُ: «**النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم؛ مِنْ خُطَبِ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ**».

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ، وَيَجْعَلَهُ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



النَّبِيُّ ﷺ

اعْرِفْ نَبِيَّكَ ﷺ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه نجا، ومَنْ أَعْرَضَ عنه تردَّى.

أيُّها المسلمون:

اخْتَارَ اللَّهُ من البِقَاع والبِلادِ خَيرَها، ومن النُّفوسِ أشرَفَها، اصْطَفَى من البَشَرِ رسلاً، جعل أقوالَهم وأعمالَهم وأخلاقَهم موازينَ تُوزنُ بها الأقوالُ والأخلاقُ والأعمال.

ومعرفةُ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ من الأصولِ الثَّلاثَةِ الَّتي يجبُ على الإنسان معرفتُهَا، وكلُّ عبدٍ يُسْأَلُ عنه في قَبْرِه، قال ابن القيِّم ﵀: «اضْطِرَارُ العِبَادِ إِلَى مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ؛ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ».

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّابع والعشرين من شهر شوَّال، سنة خمس وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

سيِّدُ ولدِ آدم وفَخْرُهُم في الدُّنيا والآخرة: مُحمَّدُ بنُ عبدِ اللَّه بنِ عبدِ المطَّلب، اصطفاه اللَّه من بَنِي هاشم، واصطفى بَنِي هاشمٍ من قريش، وهُمْ من سُلَالة نبيِّ اللَّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

صَفْوَةُ الخَلْق، هو خيرُ أهلِ الأرض نَسَباً على الإطلاق؛ قال ﷺ: «**فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْساً وَخَيْرُهُمْ بَيْتاً**» (رواه الترمذي).

نشأ يتيم الأبوين، فاقداً تربيتهما وحنانهما: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾، متقلِّباً بين أحضانٍ مُتواليةٍ برعايةٍ مِنَ اللَّه وكَلاءةٍ، بُغِّضَتْ إليه عبادةُ الأوثان والخُنُوعُ للأصنام، حَفِظَهُ ربُّه في صِغَره، وصَانَه في شَبَابِه؛ فما اسْتَلَم صَنَماً ولا مَسَّ وَثناً.

تزوَّج قبلَ البِعْثة بامرأةٍ نَبِيلَةٍ شَرِيفَةٍ لَبِيبَة، هي أعظمُ النِّساءِ شرفاً وأَوفرُهنَّ عقلاً؛ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

بعثهُ اللَّه والأرضُ مملوءةٌ بعبادةِ الأوثان وأخبارِ الكُهَّان، وسَفْكِ الدِّمَاء، وقطيعةِ الأرحام؛ فدَعَا إلى عبادة اللَّه وحده صابراً على ما يلقاه من تكذيبٍ وإعراضٍ وجفاء.

رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَه وأَعْلَى شَأْنَه، مُعْجِزَاتُه بَاهِرَة، ودلائلُه ظاهرة، مَنْصُورٌ بالرُّعْب، مغفورُ الذَّنب، أوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عنه القَبْر، وأوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ يوم القيامة، وأَكْثَرُ الأنبياء تَبَعاً، وأوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بابَ الجَنَّة، وأوَّلُ مَنْ يَعْبُرُ الصِّرَاط.

كان عَبْداً للَّه شكوراً؛ يقومُ من اللَّيلِ حتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاه، قُرَّةُ عَيْنِه

في الصَّلاة، يقومُ للَّه مُخلِصاً خَاشِعاً، يقولُ عبد اللَّه بن الشِّخِّير ﵁: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ» (رواه أحمد)، قال عن نفسه: «**وَاللَّهِ إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ**» (رواه مسلم).

مُعَظِّمٌ لِربِّه، رَفيعُ الأَدَب مع خَالِقِه، لا يدَّعي لِنَفْسِه شَيئاً ممَّا لا يَمْلِكُه إلَّا اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾، وجَاءَهُ رَجلٌ فقال له: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ: **أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عِدْلاً؟! قُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ**» (رواه النسائي)، وقال اللَّه له: ﴿قُلۡ إِنِّى لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾، قال ابنُ كثيرٍ ﵀: «أَيْ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ؛ يُوحَى إِلَيَّ، وَعَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، لَيْسَ إِلَيَّ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ فِي هِدَايَتِكُمْ وَلَا غِوَايَتِكُمْ، بَلِ المَرْجِعُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ ﷿».

أشدُّ النَّاسِ تواضعاً وأحسنُهم بِشْراً، يُجَالِسُ الفقراء ويُؤَاكِلُ المساكين، يَخْصِفُ نَعْلَه، ويَخْدمُ أهلَه ونفسَه، وشَرِبَ من القِرْبَة البَالِيَة، وحَمَلَ مع صحابتِه اللَّبِن في بناءِ المسجد، لا يَعِيبُ على الخَدَم ولا يُوبِّخُهُم، قال أنسٌ ﵁: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ، فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئاً قَطُّ» (رواه مسلم)، يُوقِّرُ الكبار ويَتَواضَعُ للصِّغَار، إِنْ مَرَّ على صبيانٍ سَلَّمَ عليهم، رَأَى أبا عمير ﵁ - وكان صَبيّاً -، فقال مُدَاعِباً له: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**» (متفق عليه)، يقول أنسٌ ﵁: «مَا رَأَيْتُ أَحداً كَانَ أَرْحَمَ

بالعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه مسلم)، عَظيمُ التَّوَاضُع، بَعِيداً عن الفَخْرِ والخُيَلاءِ والكِبْرِ والاستعلاء، يقول: «**إِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**» (رواه البخاري).

كريمُ النَّفس، سَخِيُّ اليد، غَزِيرُ الجود؛ يُنْفِقُ سَخَاءً وكَرَماً وتَوَكُّلاً، ما سُئِل شيئاً مِنْ مَتَاعِ الدُّنيا ممَّا يَمْلِكُ فَرَدَّ طالبَه؛ يقول أنسٌ رضي الله عنه: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الإِسْلَامِ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ» (رواه مسلم)، لا تُغْضِبُه الدُّنيا وما كان لها، أَعْرَضَ عن هذه الدَّار وعَمِلَ لِدَارِ القَرَار، كان يقول: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**» (رواه الترمذي).

كان يَمُرُّ به هِلَالٌ وهِلَالٌ وهِلَالٌ وما يُوْقَدُ في بُيُوتِه نار، ويَبِيتُ اللَّيالي المُتَتَابِعَة طَاوِياً وأَهلُه لا يجدون عَشاءً، يقول عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظَلُّ اليَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقَلاً - أَيْ: رَدِيءَ التَّمْرِ - يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ» (رواه مسلم)، وخَرَجَ من بيته من حَرارةِ الجوع، ورَبَطَ على بطنه الحَجَرَ من أَلَمِ الجوع، وكان الصَّحابة رضي الله عنهم يعرفونَ الجُوعَ فيه من تَغيُّر صوتِه، يقول أبو طلحة رضي الله عنه: «سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفاً أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ»، وتأتي أيَّام على بيتِ النُّبوَّة وما فيها إلَّا الماء، «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ» (متفق عليه)، كاملُ الخوفِ من ربِّه مع ما لَاقَاهُ من الجوع، فقد كان

يَجِدُ التَّمْرَ على فراشه فيقول: «**فَأَرْفَعُهَا لِآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيَهَا**» (متفق عليه).

لَقِيَ من الحياة مشاقَّها، ومن الشَّدائدِ أَحْلَكَها؛ نَشَأَ يَتِيماً فَاقِداً حَنَان الأُمُومَة، وتُوُفِّي والدُه ولَمْ تَأْنَسْ عَيْنُه بِرُؤْيَتِه، وآذَاه قَومُه بالقَولِ والفِعل، قال أنسٌ ﭬ: «ضَرَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ» (رواه أحمد).

اتَّهمُوه بالجُنون ورَمَوْه بالسِّحْرِ ووَصَفُوه بالكَذِب: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾، وفي الغَارِ كَرْبٌ وهَمٌّ، خَوْفٌ وحُزْنٌ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، وفي أُحُدٍ كُسِرَت رَباعيتُه، وشُجَّ في وجهه، وسَالَ دَمُه.

لَاقَى من الجوعِ حَرَارَتَه، ومن العَدُوِّ بَأْسَه؛ وَضَعُوا السُّمَّ في طعامه، وسَحَرُوه في أهلِه، تَوَالَتْ عليه المَصَائب وتَكَالَبَتْ عليه المِحَن، وربُّه يقول له: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾، يَبُثُّ أَشْجَانَه وأَحْزَانَه إلى زوجتِه عائشة ﭪ؛ يقول: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ**» (رواه البخاري).

مَاتَ سِتَّةٌ مِنْ أَوْلَادِه في حياتِه فَلَمْ تَثْنِه تلك الكروب عن الدَّعوةِ إلى اللَّه، صَبَرَ على كَمَدِ الحياة ولَأْوَائِهَا، يقول عن نفسه: «**لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَأُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ**» (رواه أحمد).

رقيقُ القلب مليءٌ بالرَّحمة، إذا سَمِعَ بكاءَ الصَّبيِّ في الصَّلاة؛

تَجوَّز في صلاتِه ممَّا يَعْلَمُ من شدَّةِ وَجْدِ أُمِّه من بكائِه، يَزُورُ البقيعَ فيَتَذَكَّر الآخرةَ ويَبْكِي، كان يَزُورُ ابنَه إبراهيمَ عند مُرْضِعَتِهِ وهو رضيع، فيأتِيه إبراهيمُ وعليه أَثَرُ الغُبَار فيَلْتَزِمُه النَّبيُّ ﷺ ويُقبِّلُه ويَشَمُّه من عَطْفِ الأُبُوَّةِ عليه (رواه البخاري)، ولمَّا مَاتَ دَمَعَتْ عَيْنَاه، وقال: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**» (متفق عليه).

كاملُ العقل، سَامِي الأَخْلَاق، لَمْ يَضْرِبْ أَحداً بيدِه؛ تقول عائشة رضي الله عنها: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِماً» (رواه مسلم).

أَعَفُّ النَّاس وأَشْرَفُهُم، لم تمس قطُّ يدُه امرأةً لا تحلُّ له.

كاملُ الوفاء مع أهلِ بيتِه وصحابتِه رضي الله عنهم، كان يَذْبَحُ الشَّاةَ ثمَّ يُقَطِّعُها أعضاءً ثمَّ يَبْعَثُهَا إلى صواحبِ خديجةَ رضي الله عنها بعد وفاتها وفاءً لها، وصلَّى على قتلى أُحُدٍ بعد ثماني سنين من الغَزْوَة كالمُوَدِّع لهم، يُكْرِم صحابتَه ولا يُؤْثِر لنفسِه شيئاً دونهم؛ يقول عثمانُ بنُ عفَّان رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوَاسِينَا بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ».

وَسِعَ النَّاسَ بِخُلُقِه، حليمٌ لا يَجْزِي بالسَّيِّئةِ ولكن يَعْفُو ويَصْفَح، لا يَغْضَبُ لنفسِه ولا يَنْتَصِرُ لها، يَجْذِبه الأَعْرَابِيُّ يريدُ مالاً فَيَلْتَفتُ إليه مُبْتَسِماً ويُعْطِيه سُؤْلَه.

عَفَا عمَّنْ سَحَرَه، ولَمْ يُثَرِّبْ على مَنْ وَضَعَ له السُّمَّ في طعامه، وَصَفَحَ عمَّن قاتلَه، وقال لهم في فتحِ مكَّة: «**اذْهَبُوا؛ فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**»،

تقول عائشة رضي الله عنها: «وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ» (رواه مسلم).

لَيِّنُ الجانبِ دائمُ البِشْر؛ يقول جَريرُ بن عبد اللَّه رضي الله عنه: «وَلَا رَآنِي - رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِلَّا تَبَسَّمَ» (رواه البخاري).

يَتَفَقَّدُ أصحابَه، ويُؤْثِرُ أهلَ الفضل بأَدَبِه، جميلُ المُعَاشَرَة، حَسنُ الصُّحْبَة، يَصِلُ ذوي رَحِمَه ولا يَجْفُو على أحد.

عَفُّ اللِّسان، لَمْ يَكُنْ فَاحشاً ولا مُتَفَحِّشاً، بل كانَ أشدَّ حَياءً من العَذْرَاءِ في خِدْرِها، خِلَالُه على سَجِيَّته، لا يُحِبُّ تعظيمَ الألفاظ ولا تَشَدُّقَها؛ «جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا! وَيَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا! فَقَالَ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللَّهُ** عز وجل» (رواه النسائي).

وفي طعامه لضيفه لا يَتَكَلَّفُ مَوْجُوداً ولا يَطْلُبُ مَعْدُوماً، أَحبَّه الصَّحابةُ حُبّاً جمّاً، إنْ قال استَمَعُوا لقولِه، وإنْ أَمَر تَبَادَرُوا إلى أمرِه، يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: «مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه أحمد).

جَمَعَ من الأخلاقِ أطيبَها ومن الآدابِ أَزْكَاها، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «لَا تُحْفَظُ لَهُ كِذْبَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَا ظُلْمٌ لِأَحَدٍ، وَلَا غَدْرٌ بِأَحَدٍ؛ بَلْ كَانَ أَصْدَقَ النَّاسِ وَأَعْدَلَهُمْ وَأَوْفَاهُمْ بِالعَهْدِ، مَعَ اخْتِلَافِ الأَحْوَالِ عَلَيْهِ - مِنْ أَمْنٍ وَخَوْفٍ، وَتَمَكُّنٍ وَضَعْفٍ -».

يُبجِّلُ أهلَ بيتِه ويُحسنُ معامَلَتَهُم، إذا قَدِمَتْ إليه ابنتُه فاطمةُ رضي الله عنها قام إليها وقال لها: «مَرْحَباً» وأَجْلَسَهَا بِجَانِبِه، وقال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» (رواه الترمذي)، شَهِدَ له خَالِقُه بِعُلوِّ خُلُقه؛ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

أَبْهَى النَّاسِ وأَنْضَرُهم مَنْظراً؛ يَتَلَأْلَأُ وجهُه تَلَأْلُؤَ القمرِ ليلةَ البَدْرِ؛ يقول البراء رضي الله عنه: «لَمْ أَرَ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ» (رواه البخاري)، طَيِّبُ الجَسَدِ زَكِيُّ الرَّائِحَة؛ يقول أنسٌ رضي الله عنه: «مَا شَمَمْتُ عَنْبَراً قَطُّ وَلَا مِسْكاً وَلَا شَيْئاً أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه مسلم).

فَصِيحٌ بَلِيغٌ بَاهِرُ البيان، كلامُه يأخذُ بِمَجَامِعِ القلوب، أوقاتُه كلُّها مَعْمُورَةٌ في طاعةِ اللَّه ومرضاتِه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾، مِن بِعْثَتِه إلى مماتِه يَدْعُو إلى عبادةِ ربِّه ويَنْهَى أُمَّتَه عن الوقوعِ في الشِّرك، لا خَيْرَ إلَّا دلَّ الأُمَّةَ عليه ولا شرَّ إلَّا حذَّرها منه.

فالْزَمُوا طريقَه، واستمسِكوا بهَدْيِه وسنَّتِه، واحذَرُوا مخالفتَه؛ تَفُوزوا بالدُّنيا والآخرة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعد، أيُّها المسلمون:

نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ بَشَرٌ مِنَ البَشَر؛ يَمْرَضُ ويَجُوع، ويَحْزَنُ وينام، ليس له من خصائص الرُّبوبيَّةِ ولا الأُلوهيَّةِ شيء، وإنَّما هو رسولٌ يُبَلِّغُ رسالةَ ربِّه؛ قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، لا يُرْفَعُ فوقَ قَدْرِه، ولا يُنْقَصُ من منزلتِه، واجبٌ اتِّباعُه وامتثالُ أمره، قال في فتحِ المَجيدِ: «يَحْصُلُ تَعْظِيمُ الرَّسُولِ ﷺ بِتَعْظِيمِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَالِاهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ».

وبِطاعَتِه تَتَنَزَّلُ الرَّحمات وتتوالى الخيرات: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، ومحبَّتُه بطاعتِه مقدَّمةٌ على الوَلَد والوَالِد؛ قال ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» (متفق عليه)، وباتِّباعِه يَرْغُدُ العيش ويَهْنَأُ الجميع، قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً

طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وسَعادةُ العبدِ في الدَّارَيْن مُعلَّقةٌ بالتَّمسُّكِ بهديه، والعِزَّة على قَدْرِ متابعتِه، والفلاحُ باقتفاءِ أَثَرِه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

دَلائِلُ النُّبُوَّةِ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عباد اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

أرسل اللَّه الرُّسُل لهداية الخلق، يُكَمِّلون الفِطْرة بما معهم من نورِ الوحي، ويَدْعون إلى عبادة اللَّه ومحاسن الأعمال ومكارم الأخلاق، وحاجة العباد إلى الرُّسُلِ أعظم من حاجتهم إلى الطَّعام والشَّراب والنَّفَس؛ إذْ لا سبيلَ إلى السَّعادةِ والفلاحِ ونَوَال رضا اللَّه البتَّة إلَّا على أيديهم.

واللَّهُ تعالى مُتَفرِّدٌ بالغِنى التَّامِّ، والقدرةِ الكاملة، والعلمِ المحيط، والرُّسل عليهم السلام بشرٌ لا يَمْلِكون من هذه الثَّلاثة إلَّا ما آتاهم اللَّه، قال اللَّه

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾، فاختصَّهم اللَّهُ من قدرتِه وعِلمِه ومُلْكِه بآياتٍ باهرة؛ ليظهر للعباد أنَّهم رُسُل اللَّه صادقون فيما أخبروا به، قال ﷺ: «مَا مِنَ الأَنْبِياءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ» (متفق عليه).

فأَتى صالحٌ عليه السلام قومَه بناقةٍ عظيمةٍ خرجت من صخرة.

وأُلقي إبراهيم عليه السلام في نارٍ عظيمةٍ؛ فلم تُؤْذِه.

وأُوتي موسى عليه السلام تسع آيات بَيِّنَاتٍ، وضَربَ البحر بعصا؛ فانْفَلَق فكان كلُّ فِرْقٍ كالجبل العظيم، وألقى عصاهُ فصارت ثعباناً عظيمَ الخِلقة.

وعُلِّم داودُ وسليمانُ عليهما السلام مَنْطِقَ الطَّير، وأُوتِيَا من كلِّ شيء.

وعيسى عليه السلام كان يُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَص ويُحْيِي الموتى - بإذن اللَّه -، وتكلَّم في مَهْدِه فبرَّأَ أُمَّه ووحَّد ربَّه.

ومِنْ آياتِهم الشَّاهدة بصِدْقِهم: ما كانوا عليه من حُسنِ السِّيرة، واستقامةِ الخُلُق، وما فعله اللَّه بهم وبأتباعهم من النُّصرةِ وحُسنِ العاقبة، وما فعله بمكذِّبيهم ومخالِفيهم من الهلاك والعذاب.

وجَمَع اللَّهُ لنبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ أكثرَ وأعظمَ ممَّا جاء به الأنبياء عليهم السلام من الآيات، قال شيخُ الإسلام رحمه الله: «وَمُعْجِزَاتُهُ تَزِيدُ عَلَى أَلْفِ مُعْجِزَةٍ، وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا عِلْمٌ مَطْلُوبٌ بِالأَخْبَارِ المُتَوَاتِرَةِ إِلَّا وَالعِلْمُ

بِآيَاتِ الرَّسُولِ وَشَرَائِعِ دِينِهِ أَظْهَرُ مِنْهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾».

فمن آيات نبُوَّتِهِ: بِشارةُ الأنبياء به قبلَ مَجيئِه، قال إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ﴾، وقال عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ﴾.

ونَزَل إليه مَلَك وهو في صِبَاه فَشقَّ صدره، وانتزع ما فيه من حظِّ الشَّيطان.

وعَصَمهُ اللَّهُ قبل البِعثة من أمور الجاهلية ودَنَسِها، فلم تُرَ له عورةٌ، ولم يَمسَّ بيده صنماً، ولم يَشرب خَمْراً، أو يُبايعْ أحداً بمُحرَّم.

وزِيدَت حِراسة السَّماء بالشُّهب التي تُرْجَم بها الشَّياطين؛ حِفظاً لرسالته، قالت الجِنُّ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾.

ومنها ما كان في حياتِهِ وباقٍ إلى اليوم كالقرآن العظيم، والعلم والإيمان الذي حمَله أتباعه.

ومنها إخبارُه بما أَطْلَعَهُ اللَّهُ عليه من الحوادث الكثيرة السَّابقة والغيوب اللَّاحقة، إخباراً مفصَّلاً لا يَعْلَمُه أحد إلَّا بتعليم اللَّه ﷻ، قال سبحانه: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ﴾.

قصَّ علينا ممَّا مضى: نبأَ آدمَ وسجودِ الملائكة له، وإبليسَ واستكبارِه، وتفاصيلَ كثيرةً عجيبةً من قَصَصِ الأنبياء، وما اختلفت فيه الأُممُ قبلَنا، وخبرَ أصحابِ الكهف، وأصحابِ الفيل.

وتحدَّى اللَّهُ الخلقَ أَنْ يأتوا بسورةٍ من مثل القرآن؛ وأخبر أنَّهم لن يفعلوا ذلك إلى يوم القيامة، فلم يَسْتَطِعْ أحدٌ منهم ذلك، وقال عن الكفَّار - وهو مُستضعَفٌ بمكَّة -: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾، وظَهر تصديقُ ذلك بَعد سنين طويلة، فأرى المسلمين مصارعَ صَنَادِيدِ قريشٍ قبل يوم بدر، فقال: «**هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ،** قَالَ - أَنَسٌ رضي الله عنه -: وَيَضَعُ يَدَهُ - أَيِ: النَّبِيُّ ﷺ - عَلَى الأَرْضِ هَاهُنَا هَاهُنَا، فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه مسلم).

وخرج إلى خيبرَ فكبَّر وقال: «**خَرِبَتْ خَيْبَرُ**»؛ ففتحها اللَّهُ عليه (متفق عليه).

وأرسلَ أصحابَه إلى مُؤْتَةَ غُزَاةً للرُّوم، ونَعَى شهداءَهم قبلَ مجيءِ خَبَرِهم (رواه البخاري).

وذكر أنَّ الفُرْسَ ستَغْلِبُ الرُّومَ في حياتِه، ولمَّا جاءَه رسولُ كِسْرَى بكتابٍ منه قال له: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ قَتَلَ رَبَّكَ** - أَيْ: سَيِّدَكَ - **اللَّيْلَةَ**» (رواه أحمد).

وفي طريقِه إلى تبوك قال: «**سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ**» (متفق عليه).

وأخبر بِدُنُوِّ أَجَلِه وانتقالِه إلى الرَّفيقِ الأعلى، وجلس على المنبر وقال: «عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ؛ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ! فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا!» (متفق عليه)، فما لَبِثَ أيَّاماً حتى فارقَ الدُّنيا.

وقال لأصحابِه في آخرِ حياتِه: «أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ» (متفق عليه).

فكان كلُّ ذلك كما قال عليه الصلاة والسلام.

وأخبر عن فتحِ بيتِ المَقْدِس، ثمَّ يَعْقُبُه طاعون يُفني المسلمين، ثم يَفيض بعده المالُ فلا يَقْبَلُه أحد، فكان ما أخبر به؛ ففُتح بيت المقدس، ووَقَع الطاعون بالشَّام، كلاهما في خلافةِ عمرَ رضي الله عنه، ثمَّ فاض المالُ في خلافةِ عثمانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنه حتى كان أحدهم يُعطى مئةَ دينارٍ فَيَسْخَطُها.

وأخبر أنَّ الأمصارَ تُفتح فَيَخرج إليها أهلُ المدينةِ طلباً للرَّخاءِ والسَّعة، وقال: «وَالمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (متفق عليه)، وأنَّ كِسْرى وقَيصَر يَهْلِكان وتُنفق كنوزُهما في سبيل اللَّه، وأنَّ الدُّنيا ستُفْتَح على أُمَّته فيتنافسون فيها كتنافس مَنْ قبلهم، وأنَّ أُمَّتَه ستَتَشَبَّهُ بالأُمم قبلَها وتَتَّبعُ سبيلَها حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلُوه (متفق عليه).

وبيَّن أشراطَ السَّاعةِ التي تقع بين يديها: مِن قِلَّة العلم، وكَثرة الجهل، وظهور الفِتَن، وكثرة القَتل، وتَطاوُل النَّاس فِي البُنْيَانِ.

وقام في أصحابه فأخبرهم بما سيكون إلى يوم القيامة، قال حذيفة رضي الله عنه: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَاماً، مَا تَرَكَ شَيْئاً يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ» (متفق عليه).

وحَدَّثهم بمشاهد رآها في السَّماء، فأسرى اللَّهُ بروحه وجسده من مكَّة إلى المسجد الأقصى، ثمَّ عُرِج به إلى السَّماء حتى بلغَ سِدْرَة المُنْتَهى، ثمَّ رجع من ليلتِه إلى مكَّة، وأخبرهم بما رآه من الجنَّة والنَّار وأهلِهما وسِدْرة المُنْتَهى، وبما سمعه من صَرِير أقلام تدبير الكون.

وأيَّده اللَّه بآياتٍ كونيَّةٍ مشاهَدة: فشقَّ اللَّهُ القمرَ آيةً له حتَّى صار فِرْقَتَين، رآهما النَّاس في مكَّةَ وغيرِها.

وآياتُ نبُوَّتِهِ ظهرت في الإنس أيضاً: ففي خُطبة حَجَّة الوَداع فتح اللَّهُ له أسماعَ النَّاس حتى سمعوه جميعاً، وكانوا أكثرَ من مئةِ ألفٍ (رواه أبو داود).

ودعا لأنسٍ رضي الله عنه بكثرة المال والولد؛ فدَفَن في حياته أكثرَ من مئةٍ وعشرين من صُلْبِه (متفق عليه).

ودعا لأبي هريرة وأُمِّه رضي الله عنهما أنْ يُحَبِّبَهما اللَّه إلى المؤمنين، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي» (رواه مسلم).

ودعا لعُرْوَة البَارِقيِّ رضي الله عنه بالبركة في بَيْعِه؛ فكان لو باع التُّرابَ لَرَبِح فيه (رواه البخاري).

وكُسرت رِجلُ عبد اللَّه بن عَتِيك ﷺ فمسحها؛ فبَرَأَت (رواه البخاري).

وبصق في عَيْنَيْ عليٍّ ﷺ مِنْ رَمَدٍ كان به؛ فبَرأ كأن لم يكن به وَجَع (متفق عليه).

ودلائلُ نُبُوَّتِهِ ظهرت في البهائم أيضاً: دخل ﷺ يوماً حائطاً لبعض الأنصار فيه جَمَل، فلمَّا رأى الجملُ رسولَ اللَّه ﷺ بكى، فمسح عليه رسولُ اللَّه ﷺ فسكت، فقال لصاحب الجمل: «**أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ البَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَهَا اللَّهُ؟! إِنَّهُ شَكَى إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ** - أَيْ: تُتْعِبُهُ -» (رواه أبو داود).

وقالت عائشة ﷺ: «كَانَ لِآلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحْشٌ، فَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَعِبَ وَاشْتَدَّ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا أَحَسَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ دَخَلَ رَبَضَ فَلَمْ يَتَرَمْرَمْ - أَيْ: لَمْ يَتَحَرَّكْ وَلَمْ يُخْرِجْ صَوْتاً - مَا دَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي البَيْتِ؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُؤْذِيَهُ» (رواه أحمد).

ومن آياته: ما أُوتِيه من تكثير الطَّعام والشَّراب، ففي الحُدَيْبية كان معه ألفٌ وخمس مئةٍ من أصحابه، قال جابر ﷺ: «وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ - وَهِيَ: إِنَاءٌ صَغِيرٌ -؛ فَجَعَلَ المَاءُ يَثُورُ - أَيْ: يَنْبُعُ بِشِدَّةٍ - بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ العُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا، قِيلَ لَهُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِئَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةً - أَيْ: أَلْفاً وَخَمْسَ مِئَةً -» (رواه البخاري).

وفي غزوةِ ذاتِ الرِّقَاعِ جَمَع الماءَ اليسيرَ في جَفْنَةٍ - وهي: وِعاءٌ للطَّعام -؛ فملأ منها جميعُ العَسْكَرِ آنيتَهم.

وفي خَيْبَر قَلَّ الطَّعام؛ فأمرهم ﷺ فجمعوا ما عندهم، فبرَّك عليه - أي: دعا بالبركة فيه -، فأكلوا حتى أَشْبَعَ الجيش كلَّهم، وكانوا ألفاً وخمسَ مئة.

وكان معه في تبوك نحوُ ثلاثين ألفاً يطلبون الماء، فتَوَضَّأَ في عين من عيونها؛ ففاضت بماءٍ مُنْهَمِرٍ حتى اسْتَقَوْا جميعاً (رواه مسلم).

وقال سَمُرة بن جُنْدُبٍ رضي الله عنه: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَتَدَاوَلُ مِنْ قَصْعَةٍ - وَهِيَ: وِعَاءٌ مُسْتَدِيرٌ يُؤْكَلُ فِيهِ - مِنْ غُدْوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ، تَقُومُ عَشَرَةٌ وَتَقْعُدُ عَشَرَةٌ، قُلْنَا: فَمَا كَانَتْ تُمَدُّ؟ قَالَ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَعْجَبُ؟ مَا كَانَتْ تُمَدُّ إِلَّا مِنْ هَاهُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ» (رواه الترمذي).

وسخَّر اللَّه لهُ الأشجارَ والأحجارَ آيةً لنُبوَّته: نَزَل مع أصحابه وادياً فأخذ بشجرتين فانْقَادَتَا معه والْتَأَمَتا عليه - أي: اجتمعتا عليه - بأمره (رواه مسلم).

واجتمع عليه الجِنُّ يَسْتَمِعُون منه القرآنَ وهو بمكَّة؛ فأخبرته بوجودهم شجرةٌ كانت حوله (متفق عليه).

وكان يَخْطُب على جِذْع نخلة في مسجده ثم صُنع له منبر، فلمَّا خطب عليه حنَّ الجِذع وبَكى بُكاءَ الصِّبيان، حتى وضع عليه يده ﷺ؛ فسكت (رواه البخاري).

وقال: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الآنَ» (رواه مسلم).

وصَعِد على أُحُدٍ مع ثُلَّة من أصحابه فَرَجَفَ بهم، فضربه وقال: «اثْبُتْ أُحُدُ»؛ فَثَبَت (رواه البخاري).

وأيَّده اللَّه بملائكته تأييداً لم يُؤَيَّد به أحدٌ قبلَه آيةً لنُبوَّته؛ في مكَّةَ استأذنَه مَلَكُ الجبال أَنْ يُطْبِق على كُفَّارِهَا الأَخْشَبَيْن - وهما: جَبَلانِ بمكَّةَ - فاسْتَمْهَلَهُ لهم.

وفي الهِجْرَةِ قال اللَّهُ: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾.

وفي بدرٍ قَاتَلَ معه خيرُ الملائكة.

وفي أُحُد رُؤِيَ النَّبِيُّ ﷺ بين جبريل وميكائيل يقاتلان عنه أشدَّ القتال (متفق عليه).

وسار جبريلُ ﵇ معه من الخَنْدَقِ إلى بني قُرَيظَة (رواه البخاري).

ومن آيات نُبوَّتِه: عِصمة اللَّه له في نُبوَّتِه من أعدائه، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾؛ فلم يتمكَّنوا منه حتى ظَهر عليهم مع كثرتهم وقوَّتهم.

وسَحَرَهُ بعضُ اليهود؛ فأظهرَهُ اللَّهُ على سِحْرِهم فأَبْطَلَه، ووَضَعُوا له السُّمَّ في شاةٍ؛ فأَنْبَأَه اللَّهُ بذلك.

ومن آيات نُبوَّتِه: أخلاقه الطَّاهرة وخَلْقه الكامل.

ومع ظهور أمره ﷺ، وطاعةِ الخلق له، وتقديمِهم له على الأنفس والأموال، مات ولم يُخَلِّف درهماً ولا ديناراً، ولا شاةً ولا بعيراً، إلَّا بَغْلَته وسِلاحَه، ودِرْعه وكانت مَرْهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير ابتاعها لأهله.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

مَنْ تدَّبر سيرةَ النَّبيِّ ﷺ مِن وِلادتِه إلى موتِه؛ عَلِم أنَّه رسولُ اللَّهِ حقّاً، أَتى بكلام لم يَسْمَعِ الأوَّلون والآخرون بنَظِيرِه، وكان في كلِّ وقت يأمر أُمَّته بالتَّوحيد، ويدلُّهم على كلِّ خير، وينهاهم عن كلِّ شرٍّ، ويُظهر اللَّهُ له من عجائب الآيات.

جاء بأكمل دين، وجَمَع محاسن ما عليه الأمم، فأصبحت أمَّتُه أكملَ الأمم في كلِّ فضيلة، وهذه الفضائل به نالُوها، ومنه تعلَّمُوها، وهو الذي أمرهم بها، فصار من اتَّبعَه أعلمَ أهل الأرض وأدْينَهم وأعدلَهم وأفضلَهم.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

التَّأَمُّلُ في آياتِ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ ودلائلِ صِدْقِه يزيدُ من الإيمان، والرِّفعة تُنال بكثرة النَّظر في محاسنه البَاهرةِ وشريعته الطَّاهرة، ولا طريق لنا لمعرفة اللَّهِ إلَّا بالرَّسول ﷺ.

وَمَنْ أراد معرفة صدق الرِّسالة وجَلاء براهينها فعليه بالقرآن العظيم.

ولمَّا كانت حاجة الخلق إلى تصديق الرَّسُولِ ﷺ أشدَّ من حاجتِهم إلى جميعِ الأشياء؛ يَسَّرَ اللَّهُ الدَّلائلَ الَّتي بها يُعرَفُ صِدْقُ الأنبياء، وجعلها من الكثرة والظُّهور والوضوح بِحَيْث لا يتخلَّف عن الإيمان بها إلَّا مُعاند، ولا يتردَّد في التَّصديق بها إلَّا مُكابر.

والخيرُ كلُّه في الثَّباتِ على التَّصديقِ بالنُّبوَّة، وطاعته.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

نُصْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى أربَحُ المكاسب، وأَجْزَلُ المواهب.

أيُّها المسلمون:

خلق اللَّهُ البشرَ وفضَّلَ بعضَهم على بعض؛ ففضَّلَ المؤمنَ على الكافر، والبَرَّ على الفاجر، والنَّبيِّين على سائر المخلوقين، والرُّسُلَ على النَّبيِّين، وفضَّلَ خَاتَمَهُم مُحمَّداً ﷺ على سائر الرُّسُل؛ فهو صَفْوَةُ ولدِ إبراهيم، اختصَّه من بين الرُّسُل بالوَسيلةِ والفَضيلةِ والمَقَام المَحْمُود، وعمومُ رِسالتِه للعَرَبِ والعَجَم، أَعْلَى النَّاس نَسباً وأَشْرَفُهم لَقَباً، رَفَعَ اللَّه مكانتَه وشَأْنَه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ،**

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الرَّابع من شهر محرَّم، سنة سبع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» (رواه مسلم)، أكثرُ الأنبياء تَبعاً، وأوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بابَ الجَنَّة، وأوَّلُ مَنْ يَعْبُر الصِّراط.

نَشَأَ يَتِيماً فَلَمْ يَرَ وَالِدَه في دَهْرِه، ولَمْ يَأْنَسْ بِحَضَانَةِ أُمِّه لِفِرَاقِها، أشدُّ النَّاس تَبتُّلاً إلى اللَّه، في ليله مصلِّياً باكياً، يقول عبد اللَّه بن الشِّخِّيرِ رضي الله عنه: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ» (رواه أحمد).

وفي نهارِه داعياً رَحِيماً، يُجَالِسُ الفُقَرَاء، ويُؤَاكلُ المَسَاكين، يُوَقِّرُ الكبار، ويَتَوَاضَعُ للصِّغار، إنْ مرَّ على صِبْيانٍ سَلَّم عليهم ورَحِمَهُم؛ قال أنسٌ رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَرْحَمَ بِالعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه مسلم).

كريمُ النَّفس، جوادُ اليد؛ يُنْفقُ سَخَاءً وكَرَماً وتَوكُّلاً، ما سُئل شيئاً فقال: لا قطُّ، مُعْرِضٌ عن الدُّنيا وزينتِها؛ كان يقول ﷺ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**» (رواه الترمذي).

تَمْضِي أيَّامٌ وليس في بُيُوتِه سِوَى تَمْرَة واحدة، بل يَمْضِي زمنٌ وليس فيها سوى الماء، بات ليالي هو وأهلُه لا يَجِدُونَ عَشَاءً؛ قال عمر رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظَلُّ اليَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقَلاً - أَيْ: رَدِيءَ التَّمْرِ - يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ» (رواه مسلم)، وخَرَجَ من بيته مِراراً من شدَّة الجُوع، وهو صابرٌ مُحتسبٌ لِتَبْلِيغِ رسالةِ ربِّه.

رقيقُ القلب مليءٌ بالرَّحْمَة، إذا سَمِعَ بُكَاءَ الصَّبيِّ في الصَّلاة تَجوَّز فيها.

لَيِّنُ الفُؤَاد، عظيمُ الوَجَلِ من ربِّه، كان يزورُ المَقْبَرَةَ تِبَاعاً ويَتَذَكَّرُ الآخرة ويَبْكِي مِرَاراً.

عفُّ اللِّسان، لا يَقَعُ في عِرْضِ أَحَدٍ، وكان أَشدَّ حياءً من العَذْرَاءِ في خِدرِها، لَمْ يَضْرِبْ خَادِماً ولا امْرَأَةً ولا دَابَّة، خُلُقُهُ عظيم، قال جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه: «وَلَا رَآنِي - رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِلَّا تَبَسَّمَ» (رواه البخاري).

جَمَعَ من الصِّفاتِ أعلاها، ومن الآدابِ أَزْكَاها، أحبَّه الصَّحابةُ حُبّاً جمّاً، إِنْ قَال سَمِعُوا لقولِه، وإِنْ أمر تَبَادَرُوا إلى أمرِه، قال أنسٌ رضي الله عنه: «مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، ولم يَكُنْ كِبَارُ الصَّحابةِ يَضَعُونَ أَعْيُنَهُم في عَيْنِه حَياءً منه وإجلالاً؛ قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالاً لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ» (رواه مسلم).

وقد عظَّم الصَّحابةُ نبيَّهم أيَّمَا تَعْظِيم بقُلُوبِهِم، وأَبَتْ نفوسُهُم أَنْ يَسْكُنُوا في دارٍ هُمْ في أعلاها وهو في أَسْفَلِها، وعلى هذا سَارَ تابعونَ وأَسْلَاف؛ فكان مُحَمَّدُ بنُ المُنْكَدِر لا يَتَمَالَكُ نفسَه من البكاء إذا قَرَأَ حديثَ رسولِ اللَّه ﷺ، وقال الإمامُ مالكٌ رحمه الله: «كُنَّا نَدْخُلُ عَلَى أَيُّوبَ السِّخْتِيانِيِّ، فَإِذَا ذَكَرْنَا لَهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّه ﷺ بَكَى حَتَّى نَرْحَمُهُ».

وملوكُ النَّصارى وكُبراؤُهم في زمن النَّبيِّ ﷺ أَحَبُّوا رُؤْيَتَه وتَمَنَّوْا خِدْمَتَه، قال هِرَقْلُ - عَظيمُ الرُّوم -: «لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ» (متفق عليه).

ولمَّا رآه أَحبارُ اليهود عَلِمُوا صِدْقَه؛ قال عبد اللَّه بن سَلَام - وَكَانَ مِنْ أَحْبَارِهِمْ -: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ - أَيْ: ذَهَبُوا إِلَيْهِ - وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ! فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَيْ: رَأَيْتُهُ - عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ» (رواه الترمذي).

رَفَعَ اللَّه ذِكْرَه، وغَفَرَ له ما تقدَّم وما تأخَّر مِنْ ذَنْبِه، وصَانَهُ بالرِّعَايَة وحَفِظَهُ بِالكَلَاءة، في الغار كان معه بِنَصْره وتَأْييدِه، وفي بَدْرٍ وحُنَيْن قَاتَلَت معه الملائكة، وفي أُحُدٍ عَصَمَهُ مِنْ قَتْلِ المُشْرِكِين، وفي بَنِي النَّضِيرِ كَشَفَ له كَيْد الغَادِرِين، وفي الخَنْدَقِ بَدَّدَ عنه جيشَ المُتَحَزِّبين، وفي المدينة سَلَّمَهُ من خِدَاعِ المُنَافِقِين؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾.

فَرَضَ اللَّهُ على جَمِيعِ النَّاسِ الإيمانَ به وتَوْقِيرَه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

وقد أجلَّه اللَّه ورَفَعَ مَكَانَتَه، وكَتَبَ العِزَّة له؛ قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وجعلَ الغَلَبَةَ والعَاقِبَةَ له؛ قال ﷻ:

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾، ولعظيمِ قَدْرِه عند ربِّه توعَّد اللَّهُ مَنْ يَرْفَعُ صوتَه فوق صوتِ نبيِّه بأَنْ يُحْبِطَ عملَه؛ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، ومَنْ آذاهُ لَعنه اللَّهُ في الدُّنيا والآخرة وأَهانَه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، ومَنْ حادَّه أَذَلَّهُ وكَبَته؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾.

وتوَعَّدَ بِبَتْرِ كُلِّ مَنْ أَبْغَضَهُ وعَادَاه؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، قال أهلُ العلم: «كلُّ مَنْ شَنَأَه وأَبْغَضَهُ وعَادَاه فإنَّ اللَّهَ يَقْطَعُ دَابِرَه ويَمْحَقُ عَيْنَه وأَثَرَه»، في يومِ أُحُدٍ كَسَر عُتبة بن أبي وقَّاص رَبَاعِيَةَ النَّبيِّ ﷺ، قال ابن القيِّم رحمه الله: «قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ بِالأَخْبَارِ: إِنَّهُ اسْتَقْرَى نَسْلَهُ فَلَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِنْهُمُ الحُلُمَ؛ إِلَّا أَبْخَرُ - أَيْ: كَرِيهُ رَائِحَةِ الفَمِ -، أَوْ أَهْتَمُ - أَيْ: مَكْسُورٌ ثَنَايَا الأَسْنَانِ -؛ يُعْرَفُ ذَلِكَ فِيهِمْ، وَهُوَ مِنْ شُؤْمِ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ».

ومَنْ سَخِرَ بالأنبياء أَدَارَ عليه دوائر السّوء؛ قال سبحانه: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، وقد يُمْهِلُ اللَّه السَّاخرين برُسُلِه لحكمةٍ ثمَّ يُنْزِلُ عليهم بَأْسَه؛ قال ﷻ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾، وقَضَتْ سُنَّةُ اللَّه أَنَّ مَنْ وَقَعَ في نبيِّه قَصَمَهُ اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾.

في عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ سَخِرَ به رَجُلٌ، فَلمَّا مات دفنوه، فكان كلَّما دفنوه في قبرِه وجدُوه خارج القبر مَنْبُوذاً عنه؛ قال أنسٌ ﭬ: «كَانَ مِنَّا رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ قَدْ قَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ هَارِباً حَتَّى لَحِقَ بِأَهْلِ الكِتَابِ، قَالَ: فَرَفَعُوهُ، قَالُوا: هَذَا قَدْ كَانَ يَكْتُبُ لِمُحَمَّدٍ، فَأُعْجِبُوا بِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ اللَّهُ عُنُقَهُ فِيهِمْ، فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ، فَأَصْبَحَتِ الأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ، فَأَصْبَحَتِ الأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ، فَأَصْبَحَتِ الأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، فَتَرَكُوهُ مَنْبُوذاً» (متفق عليه).

وسَخِرَ أبُو جَهْلٍ بالنَّبيِّ ﷺ، فَقَتَلَهُ غِلْمَانٌ من الصَّحابةِ نِكَايَةً به، قال عبد الرَّحمن بن عوف ﭬ: «بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ! هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا، قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ فَقَالَ مِثْلَهَا، قَالَ: فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ، فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ» (متفق عليه).

وزَالَتْ مَمَالِكُ، فلم تَبْقَ لها قَائِمةٌ لمَّا سَخِرُوا بالنَّبيِّ ﷺ،

كَتَبَ ﷺ إلى كِسْرَى وقَيْصَر، وكِلَاهُمَا لَمْ يُسْلِم، لكنَّ قَيْصَرَ أَكْرَمَ كتابَ رسولِ اللَّه وأَكْرَمَ رَسولَه؛ فثَبَتَ مُلْكُه، وكِسْرَى مَزَّق كِتَابَ رسولِ اللَّه واسْتَهْزَأَ برسولِ اللَّه؛ فَقَتَلَهُ اللَّهُ بعدَ قليلٍ من تمزيقِ كتابه، ومزَّقَهُ اللَّهُ كلَّ مُمَزَّق.

والحصونُ تتساقط إذا تعرَّض أصحابُهَا للنَّبيِّ ﷺ بالذَّمِّ والمَلَامَة، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «حَدَّثَنَا أَعْدَادٌ مِنَ المُسْلِمِينَ العُدُولِ أَهْلِ الفِقْهِ وَالخِبْرَةِ عَمَّا جَرَّبُوهُ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي حَصْرِ الحُصُونِ وَالمَدَائِنِ، قَالُوا: كُنَّا نُحَاصِرُ الحِصْنَ أَوِ المَدِينَةَ الشَّهْرَ أَوْ أَكْثَرَ مِنَ الشَّهْرِ، وَهُوَ مُمْتَنِعٌ عَلَيْنَا، حَتَّى نَكَادَ نَيْأَسُ مِنْهُ، حَتَّى إِذَا تَعَرَّضَ أَهْلُهُ لِسَبِّ رَسُولِ اللَّهِ وَالوَقِيعَةِ فِي عِرْضِهِ تَعَجَّلْنَا فَتْحَهُ وَتَيَسَّرَ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَأَخَّرَ إِلَّا يَوْماً أَوْ يَوْمَيْنِ».

وإذا أُوذِيَ الرُّسُلُ حلَّ العذاب، جاء في «الصَّارِمِ المَسْلُول»: «وَإِذَا اسْتَقْرَأْتَ قَصَصَ الأَنْبِيَاءِ المَذْكُورَةَ فِي القُرْآنِ، تَجِدُ أُمَمَهُمْ إِنَّمَا أُهْلِكُوا حِينَ آذَوُا الأَنْبِيَاءَ، وَقَابَلُوهُمْ بِقَبِيحِ القَوْلِ أَوِ العَمَلِ».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فمَحبَّةُ النَّبيِّ ﷺ فَرْضٌ على هذه الأُمَّة، بالذَّبِّ عنه وحِمَايَةِ جَنَابِه ﷺ، وَلْيَحذرِ المُسلمُ من التَّطَلُّع إلى الرُّسُومَاتِ المَسْمُومَة السَّاخِرَة بأَجَلِّ البَشَر، فقد كان السَّلفُ يَحْذَرُونَ من ذلك، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «التَّكَلُّمُ فِي تَمْثِيلِ سَبِّ الرَّسُولِ وَذِكْرِ صِفَتِهِ؛ ذَلِكَ مِمَّا يَثْقُلُ عَلَى القَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَنَحْنُ نَتَعَاظَمُ أَنْ نَتَفَوَّهَ بِذَلِكَ».

ومِنْ مَحبَّته: طاعتُه، واقتفاءُ أَثَرِه، واتِّباعُ سُنَّتِه؛ قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، ومِنْ مَحبَّته ﷺ: عدمُ الغُلوِّ فيه بِرَفْعِهِ فوق منزلةِ الرِّسَالَةِ والعُبوديَّة في المَدَائِحِ والإِطْرَاء؛ قال ﷺ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**» (رواه البخاري).

وعِزَّةُ المسلمين على قَدْرِ طَاعَتِهِم له، وفلاحُ العَبْدِ في الدَّارَيْنِ مُعَلَّقٌ بالتَّمسُّكِ بِهَدْيِه، والشَّقاءِ في عدم الإيمان، أو السُّخْرِيَة به أو بِدِينِه، أو الاسْتِخْفَاف بكتابِ اللَّه العَظِيم.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

ومِن نَصْرِ اللَّهِ لأنبيائه: إغراقُ فرعونَ في شهرِ اللَّهِ المُحرَّم؛ لكُفْرِه وسُخْرِيَتِه بموسى عليه السلام، وقد شَرَعَ اللَّه صومَ العَاشِرِ منه شُكْراً للَّهِ على نُصْرَةِ أوليائِه؛ قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ فَوَجَدَ اليَهُودَ صِيَاماً يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَا هَذَا اليَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟** فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ؛ أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ؛ فَصَامَهُ مُوسَى شُكْراً، فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ؛** فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ» (متفق عليه)، ولمُسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه أنَّ رسول اللَّه ﷺ سُئِلَ عن صيامِ يوم عاشوراء فقال: «**أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ**»، وقد عَزَمَ على أَنْ يَصُومَ يوماً قبلَه مُخَالَفَةً لأهلِ الكتاب؛ فقال ﷺ: «**لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ، لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ**»؛ فيُسْتَحبُّ للمسلمين أن يصوموا يومَ العَاشِرِ اقتداءً بأنبياءِ اللَّه، وطلباً لثواب اللَّه، وأَنْ يصوموا يوماً قبلَه أو يوماً بعدَه مخالفةً لليهود، وعملاً بما اسْتَقَرَّت عليه السُّنَّة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

السَّعادَةُ فِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ لعبادته وحده؛ ليعيشوا في ظلِّ التَّوحِيدِ بطمأنينةٍ ورَخَاء، وسكينةٍ وأَمَان، وكان النَّاسُ قبل البِعْثَة في ضلال؛ فعبدوا الأصنامَ، ووَأَدُوا البَنَات، وأكلَ بعضُهم أموالَ بعضٍ بالباطل، وعاشوا في ذُعْرٍ بسبب الشِّرك؛ فتَشَاءَمُوا بشهورٍ وطيور، ووصف أبو رجاء العَطَارِديُّ حالهم بقوله: «كُنَّا نَعْبُدُ الحَجَرَ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجراً هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ وَأَخَذْنَا الآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجراً جَمَعْنَا جُثْوَةً مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُفْنَا بِهِ» (رواه البخاري).

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، التَّاسع من شهر جمادى الأولى، سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ولقد سَئِمُوا من عباداتهم الباطلةِ وعاداتِهم المَقِيتَة فكانوا يَتَحَيَّنُونَ بِعْثَةَ رسولٍ بَشَّر به عيسى ابن مريم يُنْقِذُهُم ممَّا هم فيه: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾، فاصطفى اللَّه رجلاً منهم، هو خيرُهم نسباً، وأرجحُهم عقلاً، وأكمَلُهم صفاتٍ، نشأ على الصِّدقِ والأَمَانة، والعفافِ والتَّواضُع، عَرَفَ قومُه حميدَ صفاته قبل بعثته، قال ﷻ: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾، وعظَّمَ اللَّهُ شأنَه، وَرَفَعَ ذِكْرَه، وغَفَر ذنبَه، وحفِظه وصانَه، وخصَّه بالمَقَام المَحْمُود وبالكَوْثَر، وعُرِج به إلى السَّماء إلى مستوًى سَمِع فيه صَرِيفَ الأقلام، وكلَّمَهُ من غيرِ واسطةٍ، وسَخَّر معه الملائكةَ فقاتلوا معه في حُنَيْنٍ والأحزاب، وكان اللَّهُ وملائكتُه معه في بدرٍ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾.

وأخذ اللَّهُ الميثاقَ على الرُّسُلِ أنَّهم إنْ أَدْرَكُوا مُحَمَّداً لَيَتَّبِعُنَّه، والجِنُّ فَرِحَتْ بدعوته وأَمَرَ بعضُهم بعضاً باتِّباعه، ولمَّا قدِم المدينة قال البراء بن عازب رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ أَهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى رَأَيْتُ الوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَاءَ» (رواه البخاري).

لاقى المحنَ وقاسى الشَّدائدَ في نشر الدِّين، أُخْرِج من بلدِه، وحُبِسَ في الشِّعب، وكُسرت رَبَاعِيَته، وشُجَّ في وجهه وسال الدَّمُ منه، وقُتِلَ أصحابُه ومَكَر به المشركون ليقتلوه، واجتمع عليه الأحزاب،

وكان يقول: «**لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَأُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ**» (رواه أحمد).

وأَمَرَ اللَّهُ بطاعتِه واتِّباعِه؛ قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾، حديثُه وَحْيٌ، ومزاحُه حقٌّ، قيل: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: **إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقّاً**» (رواه الترمذي)، وليس لأحدٍ تشريعٌ بعدَه، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «تُوزَنُ الأَقْوَالُ وَالأَعْمَالُ بِأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ، فَمَا وَافَقَ ذَلِكَ قُبِلَ، وَمَا خَالَفَهُ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى قَائِلِهِ».

باتِّباعه يُنالُ الهُدَى والفَلَاح؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّتِي**» (رواه الحاكم)، قال الإمامُ مالكٌ رحمه الله: «السُّنَّةُ: مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ»، ومَنْ لَمْ يَتَّبِعْه نَدِم، قال جلَّ شأنه: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾.

والصَّحابةُ رضي الله عنهم عَرَفُوا قدْرَ النَّبيِّ ﷺ؛ فأَجَلُّوه وعظَّمُوه؛ قال عروة بن الزُّبير رضي الله عنه: «إِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ» (رواه البخاري)، وكانوا يُنْصِتُون إلى حديثه؛ قال أبو سعيدٍ الخُدْريُّ رضي الله عنه: «إِذَا تَكَلَّمَ سَكَتَ النَّاسُ؛ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرَ»، ويَمْتَثِلُون أوامره، قال أبو

بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: «لَسْتُ تَارِكاً شَيْئاً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، إِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ» (رواه مسلم).

وشَرْعُه - بحَمْدِ اللَّه - كاملٌ من جميعِ الوُجُوه؛ قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، ومِنْ وصاياه ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» (رواه الترمذي)، قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا عِنْدَنَا مِنْهُ عِلْمٌ».

ومَنْ قَدَّمَ عَقْلَه وهواه على سُنَّته؛ ضلَّ، وكان الصَّحابةُ رضي الله عنهم مع رُجحانِ عقولهم وفَهْمِهِم للنُّصوص: يُقدِّمون الاتِّبَاعَ والإِذْعَانَ على آرائهم؛ قبَّل عمرُ رضي الله عنه الحجرَ الأسودَ، وقال: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»، وقال عليٌّ رضي الله عنه: «لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ؛ لَكَانَ أَسْفَلُ الخُفِّ أَوْلَى بِالمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ»، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَمِنَ الأَدَبِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ: أَنْ لَا يُسْتَشْكَلَ قَوْلُهُ؛ بَلْ تُسْتَشْكَلُ الآرَاءُ لِقَوْلِهِ، وَلَا يُعَارَضَ نَصُّهُ بِقِيَاسٍ؛ بَلْ تُهْدَرُ الأَقْيِسَةُ وَتُلْقَى لِنُصُوصِهِ، وَلَا يُحَرَّفَ كَلَامُهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِخَيَالٍ يُسَمِّيهِ أَصْحَابُهُ المَعْقُولَ، وَلَا يُوقَفَ قَبُولُ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى مُوَافَقَةِ أَحَدٍ».

ومَنْ خالفَ أمرَه توعَّده اللَّه بمصيبةٍ أو عذاب؛ قال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ودينُه عليه الصلاة والسلام متينٌ، مَنْ طَعَنَ فيه، أو لَمَزَ شيئاً منه، أو سَخِرَ منه؛ هَلَك، قال سبحانه: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

أيُّها المسلمون:

بعد وفاةِ النَّبيِّ ﷺ رحل الصَّحابةُ في الأوطان؛ لِجَمْعِ ما فَاتَهُم منها، قال جابر ﭬ: «بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيراً، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْراً حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ»، فأخذ منه الحديث.

وتَوَالَى العلماءُ على حِفْظِ سُنَّتِه للنَّاس، وتأصيلِ الأُصولِ والقَوَاعدِ لها، بتَصْنِيفِ الصِّحَاحِ والمَجَامِيعِ، والمَسانِيدِ والسُّننِ والآثَار، وكُتُبِ الجَرْحِ والتَّعْديل، لاقَوْا في ذلك الشَّدائدَ والأَخْطَار، وسطَّروا للتَّاريخ العَجَب في الصَّبرِ والجَلَد، قال ابنُ الجوزيِّ ﵀: «طَافَ الإمَامُ أَحْمَدُ ﵀ الدُّنْيَا سِنِينَ، حَتَّى جَمَعَ المُسْنَدَ»، ورَحَلَ بَقيُّ بنُ مَخْلَدٍ ﵀ من الأَنْدَلُس إلى بغدادَ على قَدَمَيْه، حتى يسمعَ الحديثَ من الإمام أحمد.

وفي مواطن إلقاء الشُّبُهات يكون التَّمسُّك بالسُّنَّة أَلْزَم، واتِّباعُها أَوْجَب، قال ابنُ حجرٍ ﵀: «لَا يُلْتَفَتُ إِلَى الآرَاءِ - وَلَوْ قَوِيَتْ - مَعَ وُجُودِ سُنَّةٍ تُخَالِفُهَا».

فالواجب على العبد: تقديمُ الوَحْيِ على العقل، وتعظيمُ سُنَّة النَّبيِّ ﷺ في النُّفوس، وتَلقِّيهَا بالقبولِ والرِّضا، وكمالِ التَّسليمِ والانقياد.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

حَفِظ اللَّهُ سنَّةَ نَبيِّه ﷺ فوصلت إِلَيْنَا شَرِيعةً غَرَّاء؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ**» (رواه ابن أبي عاصم)، والفلاحُ في العملِ بوصيَّتِه ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي؛ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**» (رواه الترمذي)، قال عمرُ بنُ عبدِ العزيز رحمه الله: «عَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ، فَإِنَّهَا لَكَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - عِصْمَةٌ».

وتعظيمُ سُنَّتِه ﷺ تَقْتَضِي التَّسليمَ، وعدمَ طلبِ الهدى من غيرِ طريقِه، وحُسنَ الاتِّباع فيما بلَّغه عن ربِّه، ولا سعادةَ للعباد، ولا هدايةَ ولا نجاةَ في الدُّنيا والآخرة إلَّا باتِّباعِ كتابِ اللَّه وسُنَّةِ نَبيِّه ﷺ - اعتقاداً وقولاً وعملاً -، والاستقامةِ على ذلك والصَّبر عليه حتَّى الممات.

وحَقُّ النَّبيِّ ﷺ على أُمَّته: إبلاغُ رسالته للنَّاس على وَفْق ما جاء به، قال عليه الصلاة والسلام: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**» (رواه البخاري).

فاجتهدوا في طاعة ربِّكم، وإبلاغِ سُنَّة نبيِّكم، والاهتداءِ بخير الهَدْيِ، هَدْيِه ﷺ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَخْلاقُ النَّبِيِّ ﷺ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

كرَّم اللَّهُ بني آدم وفضَّلَهُم على كثيرٍ ممَّن خَلَقَ تَفْضيلاً، واجْتبَى منهم مَنْ خصَّه بالنُّبوَّة والرِّسَالَة، واصْطفَى مِنْ أولئك: أفضلَهم؛ نبيَّنا مُحَمَّدَ بن عبدِ اللَّه، صفوةَ بني هاشم، وهاشمٌ خِيارُ قريش، فهو خيارٌ من خيارٍ، اختاره اللَّه لهذه الأمَّة؛ لِهدايتها إلى دينِ اللَّهِ القَويم، وصراطِه المستقيم، فكانت حياتُه عبادةً وشُكْراً، ودعوةً وحِلماً، وابتلاءً وصبراً، تحلَّى فيها بخُلُقٍ سام وفَأْلٍ محمود، شمائلُه عِطرةٌ وسيرتُه حافلة، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «اضْطِرَارُ العِبَادِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ إِلَى مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ».

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الرَّابع عشَر من شهر شعبان، سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

مَا مِنْ خيرٍ إلَّا دلَّ الأُمَّةَ عليه، وما مِنْ شرٍّ إلَّا حذَّرَها عنه، قال عن نفسِه ﷺ: «**مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ**» (متفق عليه).

قضى قريباً مِن شَطْر زَمَنِ رسالته يدعو لأمرٍ واحدٍ هو أعظمُ أَمْرٍ أَمَرَ اللَّهُ به، مَنْ لَمْ يَسْتجِب له فيه خلَّده اللَّه في النَّار وحرَّم الجنَّةَ عليه، اسْتَفتَحَ رِسَالتَه به وقام على جبلِ الصَّفا وقال لقريشٍ: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تُفْلِحُوا**».

مكثَ عشر سنواتٍ في مكَّةَ لا يدعو إلى شيءٍ سواه، ثمَّ دعا إلى بقيَّةِ الشَّرائعِ معه إلى مماته، ووَعَد مَنْ حقَّق هذا الأمر بدعوةٍ منه مُستجابةٍ له يوم القيامة، فقال: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ؛ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً**» (متفق عليه).

كثيرُ التَّعبُّد للَّه؛ قَامَ بالطَّاعةِ والعبادةِ خيرَ قيام، قدَماه تَتَشَقَّقُ من طولِ القيام، في ركعةٍ واحدةٍ قرأ البقرةَ وآلَ عمران والنِّساء، وكان جميلَ الصَّوتِ في تلاوة القرآن؛ قال البراء ﷺ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي العِشَاءِ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾؛ فَمَا سَمِعْتُ أَحَداً أَحْسَنَ صَوْتاً أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ» (متفق عليه).

خاشعٌ للَّه يُصلِّي وفي صدره أَزِيزٌ كأَزِيز المِرْجَل من البكاء، ولسانُه لا يفتُر عن ذكر اللَّه، قالت عائشةُ ﷺ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» (رواه مسلم)، وقال ابن عمر ﷺ: «إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي المَجْلِسِ الوَاحِدِ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ يَقُولُ: **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**».

يُحبُّ الصَّلاةَ ويُوصِي بها؛ قال أنسٌ رضي الله عنه: «كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ مَوْتِهِ: **الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**، قَالَ: حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغَرْغِرُ بِهَا صَدْرُهُ وَمَا يَكَادُ يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ - أَيْ: مَا يَقْدِرُ عَلَى الإِفْصَاحِ بِهَا -» (رواه أحمد).

وكان يَحثُّ صغارَ الصَّحابةِ على نوافل الصَّلَوَات؛ قال لابنِ عُمرَ رضي الله عنهما وهو فتًى: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**» (متفق عليه).

يقينُه باللَّه عظيم، مُوقِنٌ بأنَّ كلام اللَّهِ فيه شفاء، إذا مَرِضَ يَرقِي نفسَه بكلام اللَّه، قالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ» (متفق عليه).

مُعظِّمٌ للرُّسُلِ مِنْ قبلِه؛ قال له رَجُلٌ: «يَا خَيْرَ البَرِيَّةِ! فَقَالَ: **ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ**» (رواه مسلم).

ونَهَى عن إِطْرَائِه وتَعْظِيمِه؛ فقال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**» (رواه البخاري).

يدعو كلَّ أَحدٍ إلى هذا الدِّين ولو كان المَدْعُو صغيراً، زار غلاماً يهوديّاً مريضاً، فَقَعد عند رأسه، وقال له: «**أَسْلِمْ**؛ فَأَسْلَمَ - الغُلَامُ -»

(رواه البخاري)، يتواضَعُ للصَّغير ويغرِسُ في قلبه العقيدة؛ قال لابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**» (رواه الترمذي).

يتلطَّفُ في تعليم صحابَتِه ويُظهِرُ ما في قلبِه من حُبِّه لهم؛ أَخَذَ بيدِ مُعاذ وقال له: «**إِنِّي لَأُحِبُّكَ**، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَأَنَا أُحِبُّكَ، قَالَ: **أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» (رواه أبو داود).

لا يُعنِّفُ ولا يتكبَّر؛ بل صدرُه مُنشرحٌ لكلِّ أَحَدٍ؛ دخل رجلٌ وهو يَخْطُب، فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيداً، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا» (رواه مسلم).

رفيقٌ بالشَّبابِ مُشْفِقٌ عليهم؛ قال مالكُ بن الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه: «أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا؛ فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقاً رَحِيماً، فَقَالَ: **ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**» (متفق عليه).

دَمْثُ الأخلاق؛ ليس بفاحشٍ ولا مُتفَحِّشٍ في الألفاظ، وحياؤُه أشدُّ من العَذْراءِ في خِدْرِها.

عفُّ اليد؛ لَمْ يَضْرِبْ أَحداً في حياته، قالت عائشة رضي الله عنها: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِماً؛ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ولَمْ يَنْتَقِمْ لنفسِه؛ بل يَعْفُو ويَصْفَح، وإذا خُيِّر بين أَمْرَيْنِ أَخَذَ أَيْسَرَهُما ما لَمْ يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ النَّاس منه.

طَلْقُ الوَجْه؛ قال جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه: «مَا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَطُّ إِلَّا تَبَسَّمَ».

واصلٌ لِرَحِمِه، صادقٌ في حديثِه، قاضٍ لحوائج المكروبين، قالت له خديجة رضي الله عنها: «إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ».

بارٌّ بوالدته؛ زار قبرها فبكى وأبكى مَنْ حولَه، وقال: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا؛ فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا؛ فَأَذِنَ لِي**» (رواه مسلم).

يُوصِي بالجار ويَحُثُّ على حُسنِ جِوَارِه وإِكْرَامِه؛ قال لأبي ذَرٍّ رضي الله عنه: «**إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً؛ فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**» (رواه مسلم).

رقيقُ القلب رفيقٌ بمَنْ تَحتَ يده؛ خدَمَهُ أنسٌ رضي الله عنه عَشْر سِنِينَ،

فمَا قالَ له النَّبيُّ ﷺ أُفٍّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعَهُ: لِمَ صَنَعْتَ، وَلَا: أَلَا صَنَعْتَ؟

رحيمٌ بالضُّعفاء والمرضى؛ أَمَرَ مَنْ يُصلِّي بهم أَنْ يُخفِّفَ صلاتَه مِنْ أجلِهِم، رؤوفٌ بالنَّاس شديدُ الحِلْم؛ بالَ أعرابيٌّ جَهْلاً منه في مسجدِه، فَتَنَاوَلَهُ النَّاس، فقال لهم: «**دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ - أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ -، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**» (رواه البخاري).

كثيرُ البذل والعطاء، لا يَرُدُّ سائلاً ولا مُحتاجاً؛ قال حكيمُ بن حزام ﭬ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي» (متفق عليه)، كريمُ اليد واسعُ الجُود؛ جاءه رجلٌ فأعطاه غنماً بين جَبلَيْن، ورأى رجلٌ عليه بُردةً فقال: «اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا! فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا» (رواه البخاري).

طيبٌ لا يأْكُلُ إلَّا طيِّباً، يَتَوَارَى عن أيِّ شُبهةٍ في المَطْعَم أو المَشْرَب؛ قال ﷺ: «**إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً؛ فَأُلْقِيهَا**» (متفق عليه).

يُجِلُّ صحابته ويُعظِّمُ مكانَتَهُم - وإن كانوا حَدِيثِي السِّنِّ -، قال عن أسامة بن زيد - وهو لم يتجاوز حينذاك الثَّامنةَ عشرةَ مِنْ عُمُرِه -: «**أُوصِيكُمْ بِهِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ**» (رواه مسلم)، وإذا مرِضَ أحدهم عادَه وحَزِنَ لمُصابه، زار سعد بن عُبادة فوجدَ مَرَضَهُ شَدِيداً فبكى.

وَفِيٌّ مع صحابته، لَمْ يَنْسَ فضلَهم وإيثارَهم، آخِرَ يومٍ صَعدَ فيه المنبر قال: «**أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ؛ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي** - أَيْ: جَمَاعَتِي وَخَاصَّتِي الَّذِينَ أَثِقُ بِهِمْ وَأَعْتَمِدُهُمْ فِي أُمُورِي - **وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**» (رواه البخاري).

وحَفِظَ لخديجةَ رضي الله عنها مواقِفَها العظيمة وبَذْلَها السَّخيَّ، وعقلَها الرَّاجِح، فكان يَذْكُرُها بالخير بعد وفاتها ويَصِلُ أَقْرِبَاءَها ويُحسِنُ إلى صَدِيقَاتِها.

وأمر بسدِّ كلِّ خَوْخَةٍ - أي: بَابٍ يُفتَحُ من بُيوتِهم على مسجدِه - سوى باب أبي بكرٍ رضي الله عنه وفاءً له.

ومع عِظَم أَعْبَاء ما أُوكِل إليه من الرِّسالةِ كان جميلَ العِشْرَةِ مع أهلِه مُتلطِّفاً معهم، فإذا دخل بيتَه «يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ» (رواه البخاري).

رقيقٌ مع أولادِه وأحفادِه مُكرِمٌ لهم، «إِذَا دَخَلَتِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ يَقُومُ لَهَا وَيَأْخُذُ بِيَدِهَا وَيُجْلِسُهَا فِي مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ» (رواه أبو داود)، وكان يَضَعُ الحَسَنَ على عاتِقِه فيقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ؛ فَأَحِبَّهُ**» (متفق عليه)، وخرج على صحابته وبنتُ ابنته أُمَامَةُ على عاتقه، فصلَّى بها، «فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا» (متفق عليه).

وَصَفَ عثمانُ رضي الله عنه معاملتَه لصحابتِه فقال: «صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ» (رواه أحمد).

ذاقَ من الحياةِ مُرَّها ولَأْوَاءَها؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ، وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا، فَسَأَلَتْنِي؛ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئاً غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ» (متفق عليه)، وربطَ على بطنِه الحَجَرَ من الجوع؛ قال عمر رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظَلُّ اليَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقَلاً - أَيْ: رَدِيءَ التَّمْرِ - يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ» (رواه مسلم).

لَاقَى من المِحَنِ والشَّدائدِ أَشَقَّها؛ نَشَأَ يَتِيماً، وأُخرِج من بَلَدِه، وحُوصِر في الشِّعبِ ثلاث سنين، واختفَى في غارٍ، ومات له سِتَّة من الولد، وتبِعَه قومُه في مُهاجَرِه وقَاتَلُوه، ومكرَ به أهلُ النِّفاق، وسُقِي السُّمَّ، وعُمِل له السِّحْر، وكان يقول: «**أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ**» (رواه الترمذي)، ومع ما لاقاه من تلك المصائب وغيرها كان مُتفائلاً في حياته ويقول: «**يُعْجِبُنِي الفَأْلُ؛ الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ، الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**» (متفق عليه).

أعرضَ عن الدُّنيا ورجا ما عند اللَّه؛ فكان يقول: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**» (رواه الترمذي)، ففارقَ الحياةَ ولم يُخَلِّف شيئاً من حُطامها؛ قالت عائشةُ رضي الله عنها: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً، وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيراً، وَلَا أَوْصَى بِشَيْءٍ» (رواه مسلم)، وصفَه عَلِيٌّ رضي الله عنه بقوله: «لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ» (رواه أحمد).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالنَّبيُّ ﷺ قد أدَّى أمانةَ رسالته ونصحَ لأُمَّته، وقال: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ ناراً، فَجَعَلَ الجَنَادِبُ - طَائِرٌ يُشْبِهُ الجَرَادَ - وَالفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي» (رواه مسلم).

ومِنْ وفاءِ الأُمَّة له: أداءُ حقوقِه من الإيمانِ به والتَّصديقِ بما جاء به، فقال: «لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ - يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ -، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» (رواه مسلم)، ومن حقِّه ﷺ: تقديمُ حُبِّه على جميع المَحَابِّ؛ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (متفق عليه).

ومن واجبات الأُمَّة في جَنابه: طاعتُه فيما أَمَر، واجتنابُ ما عنه نَهى وزَجَر؛ قال عليه الصلاة والسلام: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» (رواه البخاري).

ومن أصول الشَّهادة له بالرِّسالَة: أن لا يُعبَدَ اللَّهُ إلَّا بما شَرَع؛ قال ﷺ: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ» (رواه أبو داود).

ومن محبَّته: قراءةُ سيرتِه ومعرفةُ هَدْيِه في كلِّ حِين، ونَشْرُ دعوته في الآفَاق، وأن يَدْعُوَ المُسلمُ لِمَا دعا إليه من التَّوحِيدِ وأوامرِ الدِّين

ومحاسنِه وفضائِله، ومَنْ جَعَلَ النَّبيَّ ﷺ قُدْوَتَه في عباداتِه ومعاملاتِه؛ نالَ الفلاحَ والرِّضا.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

سعادةُ الدَّارَيْن بطاعتِه ﷺ، وعلى قَدْر متابعتِه تكون الهداية والعِزَّة والنَّجاة؛ قال ﷻ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾.

ومَنْ أَطَاعَهُ صَلَح دينُه وحَسُنَتْ دُنْيَاه وانْشرَحَ صدرُه، ومَنْ أَحبَّ أن يكون رفيقَه في الآخرة فَلْيَكُنْ مُقْتَفياً أَثرَه، مُسْتنّاً بسُنَّتِه، مُعْرِضاً عمَّا يُناقِضُ الشَّهادةَ له بالرِّسالةِ أو يُنقِصُها؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

حُقُوقُ النَّبِيِّ ﷺ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالنَّعيمُ في اتِّباعِ الهُدى، والشَّقاءُ في مُوافقةِ الهَوَى.

أيُّها المسلمون:

مِنَنُ اللَّهِ على عباده جِسام، ونِعَمُهُ عليهم عِظام، ومِنْ أَجلِّ نِعَمِهِ أَنْ أَرْسلَ الرُّسُلَ به مُعرِّفين، ولِتَوْحِيدِه دَاعِين، وهمُ الوَسَائِطُ بين اللَّه وخلقِه في أمرِه ونهيِه، والسُّفراءُ بينَه وبين عبادِه، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

ولا سَبيلَ إلى السَّعادةِ في الدُّنيا والآخرة إلَّا على أيديهم، ولا طريقَ إلى معرفةِ الطَّيِّبِ والخبيثِ على التَّفصيلِ إلَّا من جِهتِهم، ولا

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّالث من شهر ربيع الآخر، سنة ست وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

يُنالُ رِضا اللَّهِ البَتَّةَ إلَّا من طريقِهم، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرِّسَالَةُ ضَرُورِيَّةٌ لِلْعِبَادِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا، وَحَاجَتُهُمْ إِلَيْهَا فَوْقَ حَاجَتِهِمْ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالرِّسَالَةُ رُوحُ العَالَمِ، وَنُورُهُ، وَحَيَاتُهُ، وَلَا بَقَاءَ لِأَهْلِ الأَرْضِ إِلَّا مَا دَامَتْ آثَارُ الرُّسُلِ مَوْجُودَةً فِيهِمْ، فَإِذَا انْدَرَسَتْ آثَارُ الرُّسُلِ مِنَ الأَرْضِ، وَانْمَحَتْ بِالكُلِّيَّةِ؛ خَرَّبَ اللَّهُ العَالَمَ العُلْوِيَّ وَالسُّفْلِيَّ وَأَقَامَ القِيَامَةَ».

وخيرُ الرُّسُل نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ، وشرفُ أمَّته، وعلُوُّ منزلتِها به، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنَّمَا حَازَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ قَصْبَ السَّبْقِ إِلَى الخَيْرَاتِ بِنَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ ﷺ»، ولفَضْلِه كان صَحْبُهُ خيرَ صَحْبٍ لِنَبيٍّ، وقرْنُه خيرَ قَرْنٍ، وما فُضِّلَ إلَّا به، ولِفَضْلِ اللَّه عليه كان أكثرَ الرُّسُلِ تابِعاً يوم القيامة.

اختارَه اللَّه من بين النَّاسِ فكان سيِّدَ ولدِ آدم، واصطفَاهُ اللَّه على الخلقِ فكان خيرَهم، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**» (رواه مسلم).

عظَّمَه اللَّه فأقسَمَ بعُمره، ولم يُنادِه في كتابِه باسمٍ مُجرَّدٍ كسائرِ الأنبياء؛ بل ما ناداه إلَّا باسمِ النُّبُوَّةِ والرِّسالَة، شرحَ اللَّه صدرَه، وغفَرَ ذنبَه، ورفَعَ ذِكرَه، وأَخَذَ اللَّهُ على النَّبيِّين الميثاقَ بالإيمانِ به؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهُوَ الإِمَامُ الأَعْظَمُ

الَّذِي لَوْ وُجِدَ فِي أَيِّ عَصْرٍ وُجِدَ، لَكَانَ هُوَ الوَاجِبَ الطَّاعَةَ، المُقَدَّمَ عَلَى الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ؛ وَلِهَذَا كَانَ إِمَامَهُمْ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ لَمَّا اجْتَمَعُوا بِبَيْتِ المَقْدِسِ».

ختَمَ اللَّهُ به النُّبُوَّةَ والرِّسالَة: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وأتمَّ به الدِّين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾، أيَّده اللَّه بالآيات، وأَنْزَلَ عليه أفضلَ كتاب، وحفِظَ دينَه ووعَدَ بنصرِه.

الإيمانُ به ﷺ ومحبَّتُه وتصديقُه أصلٌ من أصول الدِّين، قُرِنَت الشَّهادةُ له بالرِّسالةِ بالشَّهادةِ للَّه بالوحدانيَّة، أرسله اللَّهُ إلى العرب والعجَم، والإنسِ والجنِّ؛ قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

أرسله اللَّه رحمةً للعالَمين؛ فحصَلَ لهم النَّفعُ برسالتِه، ورحمتُه بالمؤمنين خاصَّة؛ قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ﴾، ما ترك خيراً إلَّا دلَّ الأمَّةَ عليه، ولا شرّاً إلَّا حذَّرَها منه؛ قال ﵊: «**مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ**» (متفق عليه).

ومَنْ لَمْ يُؤمِنْ بالنَّبيِّ ﷺ ويتَّبِعْه؛ تَوعَّدَهُ اللَّهُ بالنَّار، قال ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾.

وأهلُ الكتابِ واجبٌ عليهم الإيمانُ به واتِّباعُه؛ قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ - يَهُودِيٌّ، وَلَا**

نَصْرَانِيٌّ -، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» (رواه مسلم).

ولا غِنى للنَّاس عن الإيمانِ بالنَّبيِّ ﷺ وطاعتِه في كلِّ مكانٍ وزمانٍ، ليلاً ونهاراً، سفراً وحضراً، علانيةً وسِرّاً، جماعةً وفُرادَى، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهُمْ أَحْوَجُ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ بَلْ مِنَ النَّفَسِ؛ فَإِنَّهُمْ مَتَى فَقَدُوا ذَلِكَ فَالنَّارُ جَزَاءُ مَنْ كَذَّبَ بِالرَّسُولِ ﷺ وَتَوَلَّى عَنْ طَاعَتِهِ».

بالنَّبيِّ ﷺ زكَّانا اللَّه، وعلَّمَنا ما لَمْ نَكُنْ نَعْلَم؛ قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، قال الشَّافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَلَمْ تُمْسِ بِنَا نِعْمَةٌ ظَهَرَتْ وَلَا بَطَنَتْ نِلْنَا بِهَا حَظّاً فِي دِينٍ وَدُنْيَا، أَوْ دُفِعَ بِهَا عَنَّا مَكْرُوهٌ فِيهِمَا وَفِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا، إِلَّا وَمُحَمَّدٌ ﷺ سَبَبُهَا، القَائِدُ إِلَى خَيْرِهَا، وَالهَادِي إِلَى رُشْدِهَا».

ولا يَتَحقَّقُ إيمانُ العبدِ بالنَّبيِّ ﷺ إلَّا بِطَاعتِه؛ قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾، وقد أمرَ اللَّهُ بِطَاعَتِه في أكثرَ من ثلاثينَ مَوْضِعاً من القرآن، وقرَنَ طاعتَه بطاعتِه، وقَرَنَ بين مُخالَفتِه ومُخالَفَتِه، مَنْ أطاعَهُ فازَ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أعظمُ خِصال التَّقوى وآكَدُها وأصلُها: إفرادُ اللَّه بالعِبَادة، وإفرادُ الرَّسُولِ ﷺ بالمُتابعة؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾، وفي ذلك حياةُ المرءِ وسعادتُه؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾، والفِتْنَةُ في مُخالَفَتِه؛ قال ﷻ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ومَنْ حادَّ الرَّسُولَ أَذلَّه اللَّه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾، ومَنْ رَغِبَ عن سُنَّته تُوعِّدَ بِبَرَاءةِ النَّبيِّ ﷺ منه؛ قال ﷺ: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي؛ فَلَيْسَ مِنِّي» (متفق عليه).

ومِنْ حقِّه ﷺ: أن لا يُعبَدَ اللَّهُ إلَّا بما شَرَع، لا بالأَهْوَاءِ والبِدَع، ولا رأيَ لأحدٍ مع سُنَّةٍ سَنَّهَا رسولُ اللَّه ﷺ، قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ» (رواه مسلم).

حبُّه من أعظمِ واجِباتِ الدِّين، ولا يكفِي فيها أصلُ المَحبَّة؛ بل واجبٌ أن تكونَ محبَّةً زائِدةً على محبَّة جميعِ الخلق حتى على النَّفسِ؛ قال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (متفق عليه)، ولا يَنالُ العبدُ حلاوةَ الإيمان إلَّا بذلك؛ قال ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» (متفق عليه).

والمحبَّةُ الصَّادقةُ تظهرُ في المُتابَعَة؛ قال ﷻ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾، والصَّادقُ في محبَّته يُحشَرُ

معه في الآخرة، جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» (متفق عليه).

ومِن محبَّته: النَّصيحةُ له بالإيمان به وبما جاءَ عنه، والتَّمسُّك بطاعتِه، واختِيارُ سُنَّته، ونشرُ علومِه، وتعظيمُ أمرِه، ومحبَّةُ أوليائِه، ومُعاداةُ أعدائِه؛ قال ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: **لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**» (رواه مسلم).

تعظيمُه وتوقيرُه من أُسس الدِّين، ومن حِكَم بعثتِه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، قال الحليميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حُقُوقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَجَلُّ، وَأَعْظَمُ، وَأَكْرَمُ، وَأَلْزَمُ لَنَا، وَأَوْجَبُ عَلَيْنَا مِنْ حُقُوقِ السَّادَاتِ عَلَى مَمَالِيكِهِمْ، وَالآبَاءِ عَلَى أَوْلَادِهِمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ النَّارِ فِي الآخِرَةِ، وَعَصَمَ بِهِ لَنَا أَرْوَاحَنَا، وَأَبْدَانَنَا، وَأَعْرَاضَنَا، وَأَمْوَالَنَا، وَأَهْلِينَا، وَأَوْلَادَنَا فِي العَاجِلَةِ، فَهَدَانَا بِهِ لِمَا إِذَا أَطَعْنَاهُ فِيهِ أَدَّانَا إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ».

أعظمُ مَنْ عرَف قَدْرَه: أصحابُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ قال عُروةُ بن مسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ! لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى المُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّداً؛ إِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ» (رواه البخاري).

وأَشدُّ النَّاسِ حُبّاً له صَحَابَتُه؛ قال عمرو بن العاص ﷺ: «مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالاً لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ» (رواه مسلم).

مَنْ عَرَفَ سِيرَتَه وسُنَّتَه، أو سَمِعَ بها وهو عَادلٌ مع نفسِه لَمْ يَمْلِك إلَّا أن يُجِلَّه، سَمِع به ملوكُ النَّصارَى فَعَظَّمُوه، قال هِرَقْلُ: «لَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ» (متفق عليه)، قال ابنُ حجرٍ رحمه الله: «وَفِي اقْتِصَارِهِ عَلَى ذِكْرِ غَسْلِ القَدَمَيْنِ إِشَارَةٌ مِنْهُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَطْلُبُ مِنْهُ إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ سَالِماً، لَا وِلَايَةً، وَلَا مَنْصِباً، وَإِنَّما يَطْلُبُ مَا تَحْصُلُ بِهِ البَرَكَةُ».

رأسُ الأدبِ مع رسولِ اللَّه ﷺ: كَمالُ التَّسليمِ له، والانقِيادُ لأمرِه، وتلقِّي خبَره بالقَبُولِ والتَّصديق، ومن الأدبِ معه: أن لا يُسْتَشْكَلَ قولُه؛ بل تُسْتَشْكَلُ الآراءُ لقولِه، ولا يُعارَضُ قولُه بِقِيَاسٍ، ولا يُوقَفُ قَبولُ ما جاء به على مُوافَقَة أَحدٍ، قال ابن القيِّم رحمه الله: «العَقْلُ مَعَ الوَحْيِ، كَالعَامِّيِّ المُقَلِّدِ مَعَ المُفْتِي العَالِمِ؛ بَلْ وَدُونَ ذَلِكَ بِمَرَاتِبَ كَثِيرَةٍ لَا تُحْصَى».

ومِنْ أَعظمِ حقوقِه: إنزالُه المنزلةَ التي أنزله ربُّه ﷻ من العبوديَّة والرِّسالة؛ فلا يُرفَعُ إلى منزلةِ الرُّبوبيَّة فيُدعَى من دونِ اللَّه، ولا يُحطُّ من قدرِه فيُترَك اتِّباعُه.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فنبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ رَسُولُ اللَّهِ حقّاً، أحبَّه اللَّهُ وأمرَنا بحبِّه، وبعثَه وأمرَنا بتصديقِه، وأيَّدَه وأمرَنا بالتَّمسُّكِ بِشَرِيعَتِه، وأَعزَّه وأَمرَنا بالذَّبِّ عنه، ولَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الجَنَّةَ إلَّا بالإيمانِ به، واقتِفاءِ أثرِه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الرِّسالةُ ضروريَّةٌ في إصلاحِ العبدِ في مَعَاشِهِ ومَعَادِه؛ فكَمَا أنَّه لا صَلاحَ له في آخرتِه إلَّا باتِّباعِ الرِّسالة، فكذلك لا صلاحَ له في مَعَاشِهِ ودُنْيَاهُ إلَّا باتِّباعِ الرِّسالة، فالعِزُّ في طاعة اللَّه ورسولِه ﷺ، وكلَّما كان المرءُ مُقْتدِياً بالنَّبيِّ ﷺ علَت درجتُه.

ومَنْ أبغضَ النَّبيَّ ﷺ أو هَدْيَه؛ خَذَلَهُ اللَّه، وأَذلَّه، وأَهانَه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، وكلُّ أُمَّةٍ تُعظِّمُ نبيَّها وصحابتَه، وأعظمُ شرفٍ لهذه الأُمَّةِ تعظيمُ نبيِّها وحبُّ صحابتِه؛ فبِه رِفعتُها، وسعادتُها، وتقدُّمُها على الأُمم.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الاسْتِجَابَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فخيرُ الزَّاد ما صحِبَه التَّقوى، وخيرُ العمل ما قَارَنَه الإخلاصُ للمولَى.

أيُّها المسلمون:

أوجدَ اللَّهُ الثَّقلَيْن لعبادتِه، وأمرَهم بامتِثالِ أوامره، وكتبَ السعادةَ لأهل طاعته، وعبادتُه سبحانه هي الحِصنُ الذي مَن دخله كان من الآمِنين، ومن أدَّاها كان من النَّاجِين، وهي خيرٌ محضٌ لا ضررَ فيها؛ قال ﷻ: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾.

وكلُّ خيرٍ في الأرض فإنَّه بسبب طاعةِ اللَّه ورسولِه، والشَّرُّ والأَلَمُ والغَمُّ الذي يُصيبُ العبدَ في نفسِه فإنَّما هو بسببِ مُخالفةِ الرَّسولِ عليه الصلاة والسلام؛

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّالث والعشرين من شهر ربيع الأول، سنة خمس وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَمَنْ تَدَبَّرَ العَالَمَ وَالشُّرُورَ الوَاقِعَةَ فِيهِ: عَلِمَ أَنَّ كُلَّ شَرٍّ فِي العَالَمِ سَبَبُهُ مُخَالَفَةُ الرَّسُولِ ﷺ وَالخُرُوجُ عَنْ طَاعَتِهِ».

ومِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بعبادِه: أَنْ أمرَهم بالاستِجَابةِ له؛ لِيَنَالَهُم الخير؛ فقال: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ فاستجابَ المؤمنون لربِّهم وأفلحوا: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، وبذلك أَحْيَا اللَّهُ قلوبَهم وعلا قدرُهم؛ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

ومَنْ بَادرَ إلى طاعة ربِّه زادَه هُدًى إلى هُداه؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَكُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَتْبَعَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ كَانَ أَعْظَمَ تَوْحِيداً لِلَّهِ وَإِخْلَاصاً لَهُ فِي الدِّينِ، وَإِذَا بَعُدَ عَنْ مُتَابَعَتِهِ نَقَصَ مِنْ دِينِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ».

ومَنِ استَجابَ لربِّه أُجيبَ دُعاؤُه؛ قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: يُجيبُ دُعاءَهم، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾؛ بل وأَحبَّهُ اللَّه ورَحِمَه وأَدْخَلَه الجنَّة؛ قال ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجنَّة.

والرُّسُلُ عليهم السلام بادَرُوا إلى الإِذْعَان والتَّسْلِيم؛ قال اللَّه لخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وأمره بذَبْحِ ابنِه الأَوْحَدِ بيدِه فَتلَّه للجَبِينِ لِذَبْحِه، وابنُه إسماعيلُ عليه السلام قال له: ﴿يَٰٓأَبَتِ

ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وموسى عليه السلام سارع لإرضاءِ ربِّه وقال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾.

وأخذَ اللَّهُ ميثاقَ النَّبِيِّين إِنْ بُعِثَ فيهم نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ أن يُؤمِنوا به وينصُرُوه، فقالوا: ﴿أَقۡرَرۡنَاۚ﴾.

وقال اللَّهُ لنبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾، فخرجَ إلى النَّاسِ دَاعِياً إلى التَّوحيد، وقال له: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، فقام حتى تفطَّرَت قدَماه.

وحوارِيُّو عيسى عليه السلام استَجابُوا له، قال لهم عيسى: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾.

وحَثَّ الجنُّ بعضُهم بعضاً إلى إجابةِ دُعاء اللَّه: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾.

ونالَ الصَّحابةُ رضي الله عنهم الفضلَ؛ لصُحبتهم وإخلاصِهم وسَبْقِهم في الاستِجابة للَّه ولرسولِه، فزادَت رِفعتُهم عند اللَّه، أُمِرُوا باسْتِقبَالِ الكعبة فَحَوَّلُوا وِجهتَهم من بيت المَقْدِس إليها حِينَما سَمِعُوا بِتَغْيِيرهَا وهم في الصَّلاة، ولم يُؤَخِّرُوا الامتِثالَ إلى الصَّلاة التي تَليهَا.

ونَدَبَ النَّبيُّ ﷺ إلى الصَّدقة، فبذَلُوا نفيسَ أموالهم؛ فأنفقَ عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه نصفَ مالِه، وأنفقَ أبو بكر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه مالَه كلَّه، وقال ﷺ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ؛ فَلَهُ الجَنَّةُ**، فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ رضي الله عنه» (رواه البخاري).

ونَزَلَ قولُ اللَّه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، فقام أبو طلحةَ ﷺ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ» (رواه البخاري).

وبإشارةٍ من النَّبيِّ ﷺ لصِغار الصَّحابةِ إلى فَضْلِ قِيامِ اللَّيلِ كانُوا عُبَّاداً لِلَّه فيه؛ قال ﷺ لِعَبْدِ اللَّهِ بن عُمَر ﷺ وهو صَغيرٌ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ؛** فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً» (متفق عليه).

وَفَدَوُا النَّبيَّ ﷺ بأرواحِهم طاعةً للَّه؛ أتى المِقدادُ بنُ الأسودِ ﷺ إلى النَّبيِّ ﷺ وهو يَدْعُو على المُشركين، فقال: «لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ - يَعْنِي: قَوْلَهُ -» (متفق عليه).

وكفَّ الصَّحابةُ عن أقوالٍ وأفعالٍ حين سَمِعُوا النَّبيَّ ﷺ يَنْهَى عنها ولم يُراجِعُوهُ فيها اسْتِجَابةً له؛ في الجاهليَّة كانوا يَحْلِفُونَ بآبائِهم واعْتَادَتْه أَلْسِنَتُهم، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ،** قَالَ عُمَرُ ﷺ: فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْهَا، ذَاكِراً وَلَا آثِراً - أَيْ: نَاقِلاً هَذِهِ اللَّفْظَةَ عَنْ غَيْرِي -» (متفق عليه).

وفي يوم مَجَاعةٍ طبَخُوا طعاماً وترَكُوهُ لِنَهْيِ النَّبيِّ ﷺ عنه، في يوم خيبَر كانت الحُمُرُ الأَهليَّةُ مُباحةً فَطَبَخُوها، فنادَى مُنادِي رسولِ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ؛ فَإِنَّهَا رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ**

الشَّيْطَانِ، قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: فَأُكْفِئَتِ القُدُورُ بِمَا فِيهَا وَإِنَّهَا لَتَفُورُ بِاللَّحْمِ» (متفق عليه).

والخَمْرُ كان مُباحاً إلى أوائِلِ الإسلام، وبِسَمَاعِهِم نَهْيَه مِنْ رجُلٍ يمشِي في الطُّرُقات أراقُوها، قال أبو النُّعمان رضي الله عنه: «كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، فَنَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ، فَأَمَرَ مُنَادِياً فَنَادَى، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَانْظُرْ مَا هَذَا الصَّوْتُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ: هَذَا مُنَادٍ يُنَادِي: أَلَا إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ لِي: اذْهَبْ فَأَهْرِقْهَا، قَالَ: فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ» (متفق عليه)، وفي روايةٍ: «فَمَا رَاجَعُوهَا، وَلَا سَأَلُوا عَنْهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ» (رواه مسلم).

ويَتَأَسَّوْن رضي الله عنهم بالنَّبيِّ ﷺ فيما يلبَسُونَه من غير أن يُكلِّمَهُم بشيءٍ؛ قال ابن عمر رضي الله عنهما: «اصْطَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ، وَكَانَ يَلْبَسُهُ فَيَجْعَلُ فَصَّهُ فِي بَاطِنِ كَفِّهِ، فَصَنَعَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ، ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ: **إِنِّي كُنْتُ أَلْبَسُ هَذَا الخَاتِمَ، وَأَجْعَلُ فَصَّهُ مِنْ دَاخِلٍ**؛ فَرَمَى بِهِ، ثُمَّ قَالَ: **وَاللَّهِ لَا أَلْبَسُهُ أَبَداً**؛ فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ» (متفق عليه).

وكتبَ عبدُ اللَّه بن عمر رضي الله عنهما وصيَّتَه حين سمِع قولَ النَّبيِّ ﷺ: «**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ**، قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ؛ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي» (متفق عليه).

وبادَرُوا ﷺ إلى حِفظِ أَلْسِنَتِهِم عمَّا لا يليقُ؛ امْتِثَالاً لِوَصيَّة النَّبيِّ ﷺ؛ قال جابرُ بن سُلَيْم ﷺ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ، وَفِيَّ جَفَاؤُهُم؛ فَأَوْصِنِي، قَالَ: **لَا تَسُبَّنَّ أَحداً**، قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحداً، وَلَا شَاةً، وَلَا بَعِيراً» (رواه أحمد).

وانْقَادُوا لِأَوَامِرِ النَّبيِّ ﷺ في حَرَكَاتِهِم وسَكَنَاتِهِم، في يوم خيبَرَ أعطى النَّبيُّ ﷺ الرَّايَةَ لِعَلِيٍّ ﷺ، وقال له: «**امْشِ، وَلَا تَلْتَفِتْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ**، فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئاً، ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! - أَيْ: رَفَعَ صَوْتَهُ لِبُعْدِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَلْتَفِتِ؛ امْتِثَالاً لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ -: عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟» (رواه مسلم).

وابتَعَدُوا عمَّا نهاهم عنه - وإن كان في ارتكاب النَّهي مصلحةٌ ظاهرةٌ لنُصرة المسلمين -، قال النَّبيُّ ﷺ لحُذيفة يوم الأحزابِ: «**قُمْ يَا حُذَيْفَةُ! فَأْتِنِي بِخَبَرِ القَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ** - أي: لا تفزعْهُم فيَعْرِفُوكَ ويُقبِلُوا عَلَيْنَا -، فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَأَى أَبَا سُفْيَانَ - وَكَانَ حِينَئِذٍ قَائِدَ المُشْرِكِينَ - قَرِيباً مِنْهُ، يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ - أَيْ: يُدْفِئُهُ مِنَ البَرْدِ -، قَالَ: فَوَضَعْتُ سَهْماً فِي كَبِدِ القَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: **وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ» (رواه مسلم).

واتِّباعُهم للنَّبيِّ ﷺ في الأوامر والنَّواهي عن إيمانٍ ويقينٍ راسِخ، قال رافعُ بن خُديج ﷺ: «نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعاً، وَطَوَاعِيَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا» (رواه مسلم).

ونساءٌ مُؤمناتٌ بادَرْنَ للاستِجابة طاعةً للَّه؛ هاجرُ عليها السلام توكَّلَتْ على ربِّها، وأطاعَت زوجَها، وسكَنَت وادياً لا زرعَ فيه ولا ماء، وليس بمكَّة يومئذٍ أحَد، وفي ظاهر الحال هلاكٌ لها ولولدِها، فقالت لزوجِها إبراهيمَ عليه السلام: «آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا» (رواه البخاري).

ولمَّا نَزَلَ فَرْضُ الحِجَابِ على الصَّحَابيَّات لَمْ يَكُنْ إذْ ذَاكَ عندهم قُماشٌ للحجاب، فبادَرنَ إلى شقِّ ثِيابٍ لَهُنَّ امْتِثَالاً لِأَمْرِ اللَّه، وحَجَبْنَ به وُجُوهَهنَّ؛ قالت عائشةُ رضي الله عنها: «يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾؛ شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ - وَهُوَ الزَّائِدُ مِنْ أُزُرِهِنَّ -، فَاخْتَمَرْنَ بِهَا» (رواه البخاري).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فطاعةُ اللَّهِ ورسولِه تحقيقٌ للشَّهَادَتَيْن وكمالٌ في العُبوديَّة؛ فإنْ طَرَقَ سَمْعَك أمرٌ فسارِع لامتِثالِه وأَنْتَ فَرِحٌ مَسْرُورٌ بِعِبَادةِ ربِّك، وإنْ كَانَ نَهْياً فَاجْتَنِبْه وَانْأَ عنه مُوقِناً بِضَرَرِه، طالِباً مرضاةَ خالقِك.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

أكملُ النَّاس حياةً أكْمَلُهم استِجابةً، ومَنْ فاتَه جُزءٌ منها فاتَه جزءٌ من الحياة، ومَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ للَّه اسْتَجَابَ لغيره من المخلوقين وأذلَّه.

واللَّهُ حذَّر من عِصيانِه فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قال أَبُو بَكْرٍ ﵁: «لَسْتُ تَارِكاً شَيْئاً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، إِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ» (متفق عليه).

والتَّردُّدُ في فِعل الطَّاعةِ أو الكسلُ في أدائِها يُنافِي كمالَ الامتِثال، ومن قدَّمَ قولاً على قولِ النَّبيِّ ﷺ لَمْ يَكُنْ من المُسْتَجِيبِينَ له، وفي الآخرة كلُّ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ «**يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: **مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**» (رواه البخاري).

والمُعرِضُ يَتَمَنَّى الرُّجوعَ إلى الدُّنيا لِطَاعةِ اللَّهِ ورَسُولِه، ويَوَدُّ الافْتِدَاء بمِلْءِ الأرضِ ومِثْلِه؛ للنَّجاة مِنَ العُقُوبَة: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم

رِجَالٌ لَا يَكُونُ أَحَدٌ مِثْلُهُمْ: الصَّحَابَةُ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

اصطفى اللَّهُ أَصْحابَ مُحمَّدٍ ﷺ، واختارَهُم لصُحْبةِ أفضلِ رُسُلِه، حَازُوا من السَّوابق والفضائل والمَنَاقِب ما سَبقوا به مَنْ قبْلهم ومَنْ بَعدَهم، أثنى اللَّهُ عليهم في الكُتب المُنزَّلة السَّابقة؛ فقال في التَّوراة: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ﴾، ومدَحَهم في الإنجيل بقوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ﴾، ووصَفَهُم في القرآن العظيم فقال: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث والعشرين من شهر ذي القَعدة، سنة تسع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وكان السَّلفُ يُعلِّمُونَ أولادَهُم حُبَّ الصَّحابةِ وسيرتَهُم؛ قال الإمامُ مالكٌ رحمه الله: «كَانُوا يُعَلِّمُونَنَا حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، كَمَا يُعَلِّمُونَنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ»، هم صَفوةُ النَّاس في الأُمَم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**» (متفق عليه)، وهم صَفوةُ قُرُونِ هذه الأُمَّة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي**» (متفق عليه)، فهُمْ خِيارٌ من خِيارٍ، مَنَّ اللَّه عليهم بالصُّحْبَة؛ فعَلَا قَدْرُهم، قال القاضي عياض رحمه الله: «فَضِيلَةُ الصُّحْبَةِ - وَلَوْ لَحْظَةً - لَا يُوَازِيهَا عَمَلٌ ولَا تُنَالُ دَرَجَاتُهَا بِشَيْءٍ، ولَا يَلْحَقُهُمْ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي السَّبْقِ إِلَى الفَضَائِلِ»، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «لَهُمُ الفَضْلُ وَالسَّبْقُ والكَمَالُ الَّذِي لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ».

امتَدحَهُمُ اللَّهُ بالإخلاصِ في العَمَلِ، وأنَّهم لا يَبْتَغُون سوى رضوانِ اللَّه عليهم؛ قال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾، لو أَنفق أَحَدٌ غيرُهم «**مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»؛ وذلكَ لِصُحْبَتِهم رسولَ اللَّهِ ﷺ.

ولِصِدْقِهِم في تَوحِيدِهم لله، أَلْزَمَهُمُ اللَّهُ كلمةَ التَّقوى: ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾، وكان تَوحِيدُهم لربِّهم ظاهراً في أعمالهم، لمَّا مَاتَ النبيُّ ﷺ قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً؛ فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ»، ولَمَّا قَبَّل عُمَرُ رضي الله عنه الحَجَرَ الأَسْوَدَ قال: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ؛ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» (متفق عليه)، قال ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «الإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ أَعْظَمُ مِنَ الجِبَالِ».

في لَيْلِهِم تلاوةٌ وتَهَجُّدٌ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالقُرْآنِ بِاللَّيْلِ**» (رواه مسلم)، يقومون للَّه ليلاً طويلاً؛ قال سبحانه عنهم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾، وَصْفُهم: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾، نِيَّاتُهم: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾، ولِكَثْرَةِ عبادتِهم ظَهرتْ أماراتُ ذلك على وجوههم؛ قال ﷻ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾، قلوبُهم للَّه لَيِّنةٌ، وَعَظَهم النبيُّ ﷺ؛ فغطُّوا رُؤُوسَهُم ولهم خَنِينٌ من البكاء، وأبو بكرٍ رضي الله عنه لا يَملِكُ عَيْنَيْهِ إذا قَرَأَ القرآن، وعمرُ رضي الله عنه صلَّى بالنَّاس فسُمِعَ أَنِينُهُ من وراء الصُّفوفِ، وعائشةُ رضي الله عنها تَقْرَأُ قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾؛ فَيَبْتَلُّ خِمَارُهَا من الدَّمْع.

سبَّاقُون لعمل الصَّالحات؛ فأبو بكرٍ رضي الله عنه في يومٍ واحدٍ تَبِعَ جنازةً وأَطْعَمَ مِسْكيناً وعَادَ مَرِيضاً وأَصْبَحَ صَائِماً، وأبو هريرة رضي الله عنه يَقْتَسِمُ اللَّيلَ صلاةً هو وامرأتُه وخَادِمُه أثلاثاً.

مُمْتَثِلُونَ لأوامرِ اللَّه؛ نَزَلَتْ آيةُ الحِجاب فشقَّ النِّساءُ أُزُرَهنَّ فَاخْتَمَرْنَ بها (رواه البخاري)، ولَمَّا حُرِّم الخَمْرُ أَرَاقُوهَا حتَّى جَرَتْ في طُرُقَاتِ المدينة، وقال عثمانُ بن عفَّان رضي الله عنه: «هَاجَرْتُ هِجْرَتَيْنِ، وَنِلْتُ صِهْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَايَعْتُهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَصَيْتُهُ وَلَا غَشَشْتُهُ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ» (رواه البخاري).

لَاقُوا من الشَّدائد أَشدَّها مِن أجلِ الدِّين؛ ففي غزوة الأحزاب زَاغتِ الأبصارُ، وبَلَغتِ القلوبُ الحَنَاجرَ، وزُلْزِلوا زلزالاً شديداً، وفي

حُنَينٍ ضاقتْ عليهِمُ الأرضُ بما رَحُبَتْ، والزُّبيرُ بن العَوَّام رضي الله عنه ما مِنْ موضعٍ في جسده إلَّا وقد جُرِح في سبيل اللَّه، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَكُلُّ مُؤْمِنٍ آمَنَ بِاللَّهِ؛ فَلِلصَّحَابَةِ عَلَيْهِ الفَضْلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَكُلُّ خَيْرٍ فِيهِ المُسْلِمُونَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ؛ فإنَّمَا هُوَ بِبَرَكَةِ مَا فَعَلَهُ الصَّحَابَةُ».

كانوا يُحِبُّون النبيَّ صلى الله عليه وسلم حبّاً جمّاً، فدوه بأنفُسِهم وأرْوَاحِهِم، فقد شُلَّتْ يَدُ طلحةَ بنِ عُبيدِ اللَّه وهو يَقِي النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم من الرَّمْي، وخُبَيبٌ رضي الله عنه يقول وهو في الأَسْرِ: «مَا يَسُرُّنِي أَنْ أَكُونَ فِي أَهْلِي وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُشَاكُ بِشَوْكَةٍ».

جَعلوا أموالَهم بين يَدَيِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ قال سعدُ بنُ معاذٍ للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، وَمَا أَخَذْتَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا تَرَكْتَ»، وأبو بكرٍ رضي الله عنه أَنْفَقَ جميعَ مالِه للَّه، قال القاضي عياض رحمه الله: «إِنْفَاقُهُمْ كَانَ فِي نُصْرَتِهِ وَحِمَايَتِهِ، وَذَلِكَ مَعْدُومٌ بَعْدَهُ، وَكَذَا جِهَادُهُمْ وَسَائِرُ طَاعَتِهِمْ».

إذا أمرَهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بأمرٍ؛ ابْتَدَرُوا أمرَه، وإذا تَكلَّموا خَفَضُوا أصواتَهم عنده، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالاً لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ» (رواه مسلم).

مَنْ رَآهم هَالَهُ تَوْقِيرُهُم لنَبِيِّهم صلى الله عليه وسلم، قال عروةُ بنُ مسعودٍ الثَّقفيُّ: «وَاللَّهِ! لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى المُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مُحَمَّداً» (رواه البخاري).

وبينهم تَوَاضعٌ وإيثارٌ ومحبَّةٌ وشفقةٌ؛ وصَفَهم اللَّه تعالى بقوله: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، قال الحسنُ رحمه الله: «رَأَيْتُ عُثْمَانَ نَائِماً في المَسْجِدِ فِي مِلْحَفَةٍ لَيْسَ حَوْلَهُ أَحَدٌ وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ»، وقال مجاهدٌ رحمه الله: «صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ فِي السَّفَرِ؛ فَكَانَ يَخْدِمُنِي» قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «كُلُّ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ أَعْجَبُوهُ فِي صَمْتِهِمْ وَحَدِيثِهِمْ».

وكان النَّبيُّ ﷺ يُحِبُّهم، وأَمَرَ بِحُبِّهم، وجعلَ علامةَ الإيمانِ حُبَّهم، وقال: «**آيَةُ الإِيمَانِ: حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ: بُغْضُ الأَنْصَارِ**» (متفق عليه)، وكان النَّبيُّ ﷺ يدعو لهم ولِذَرَارِيهم ويقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ**» (رواه مسلم)، ونهى ﷺ عن سبِّهم وقال: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي**» (متفق عليه).

واللَّهُ سبحانه رَضِيَ عنهم وبشَّرهم بالجَنَّة وهم أحياءٌ؛ قال ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾، قال ابنُ حَزْمٍ رحمه الله: «الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ قَطْعاً».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

أولئكَ رَكْبٌ عَظيمٌ، وجيلٌ فريدٌ، قال عنهم شيخ الإسلام رحمه الله: «لَا كَانَ ولَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ»، ذِكْرُ فَضائِلِهم عِبادة، وَحُبُّهم واجب، وتَوْقِيرُهم إيمانٌ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ**» (متفق عليه).

فيهم الصِّدِّيق الَّذي ثبَّت المُسلِمين وقوَّاهم بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ، وفيهم ثَانِي الخلفاء الرَّاشدين؛ ما لَقِيَهُ الشَّيطانُ سَالِكاً فَجّاً إلَّا سَلَكَ فجّاً غيرَ فَجِّه (متفق عليه)، وثالثُهم تَسْتَحي منه الملائكة (رواه مسلم)، وعليٌّ رضي الله عنه قال عنه النَّبيُّ ﷺ: «**يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**» (متفق عليه)، وصَعِدَ بعضُ الصَّحَابةِ مع النَّبيِّ ﷺ على جبل أُحُدٍ فتحرَّك الجبل؛ فقال النَّبيُّ ﷺ: «**اثْبُتْ أُحُدُ! فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدَانِ**» (رواه البخاري)، واهتزَّ عَرْشُ الرَّحْمَن لموتِ سعدِ بن معاذٍ (رواه مسلم)، واسْتُشْهِد عبدُ اللَّه بنُ حَرَامٍ رضي الله عنه في أُحُدٍ؛ فأَظَلَّتْه الملائكة بأجنحتها حتى رفعه الصَّحَابةُ (متفق عليه).

مَنْ دَنَا منهم رَفَعَهُ اللَّهُ حتَّى مَنْ كان يَخْدِمُهم؛ استغفر النَّبيُّ ﷺ للأنصار وقال: «**وَلِذَرَارِيِّ الأَنْصَارِ، وَلِمَوَالِي الأَنْصَارِ**» (رواه مسلم).

أعلامٌ اختارَهُم اللَّهُ لنُصْرَةِ دينِه ورَسُولِه؛ فكانوا نِعْمَ النَّصير، وحُمِّلوا نشْرَ الإسلام؛ فأَحسنوا التَّبلِيغ، فجزاهم اللَّه عن الإسلام وأهلِه أعظمَ ما يُجازِي به كريمٌ مَن يُحِبُ، ورَفَع درجاتِهم في علِّيين، وزادهم مع رضاه عنهم رضًى.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

لمَّا رَحَل الصَّحابةُ ظَهرتِ الفِتَن في الدِّين؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**» (رواه مسلم)، قال النَّوَوِيُّ رحمه الله: «مَعْنَاهُ: مِنْ ظُهُورِ البِدَعِ، وَالحَوَادِثِ فِي الدِّينِ، وَالفِتَنِ فِيهِ».

ولقد رضي اللَّه عن السَّابقينَ من غيرِ اشتراطِ إحسانٍ، ورضي عن التَّابعينَ بشرطِ أن يكون اتِّباعُهُم بإحسانٍ، وحَسْبُ مَنْ بعدَهم من الفَضْل: أنْ يَبْحَثُوا عن سيرتِهم ويَهْتَدُوا بِهَدْيِهم، ومَنْ فَاتَتْه فَضَائِلُهم؛ فَحُبُّهُم وإجلالُهم وتوقيرُهم معَ سلوكِ طريقِهم شَافعٌ لِلْحَشْرِ معهم، «سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: **وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟** قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ،** قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ» (متفق عليه)، قال الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمه الله: «أَوْثَقُ عَمَلِي في نَفْسِي: حُبُّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبِيِّه ...

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى سعادةٌ في الأُولى، وزادٌ في الأُخْرَى.

أيُّها المسلمون:

لا تَزَالُ الأُمَمُ والشُّعوبُ تُفَاخِرُ بِنُبَلَائِهَا وفُضَلَائِهَا، تَأْنَسُ بسِيَرِهِم وتَقْتَدِي بفضائلهم؛ رغبةً في مُرَافَقَتِهِم، يقول ﷺ: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» (متفق عليه)، وكلُّ مؤمنٍ فِلِلصَّحَابةِ عليه فضلٌ، وكلُّ خيرٍ فيه المُسْلِمونَ من الإيمان والعِلْم والعبادة والسَّعادة إنَّما هو ببركة ما فَعلُوه، بلَّغوا الدِّين وجَاهَدُوا في سبيل اللَّه، وهُمْ أَكْملُ الأُمَّةِ عقلاً وعِلماً وفِقهاً وديناً، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «مَنْ كَانَ مُسْتَنّاً فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ؛ فَإِنَّ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثامن من شهر ذي القَعدة، سنة إحدى وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الحَيَّ لا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الفِتْنَةُ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ، كَانُوا - واللَّهِ - أَفْضَلَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وأَبَرَّهَا قُلُوباً، وأَعْمَقَهَا عِلْماً، وأَقَلَّهَا تَكَلُّفاً، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَإِقَامَةِ دِينِهِ»، يقول الشَّافعيُّ ﵀: «هُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ فِقْهٍ وَعِلْمٍ وَدِينٍ وَهُدًى، وَفِي كُلِّ سَبَبٍ يُنَالُ بِهِ عِلْمٌ وَهُدًى، وَرَأْيُهُمْ لَنَا خَيْرٌ مِنْ رَأْيِنَا لِأَنْفُسِنَا».

وقد أَثنى اللَّهُ على الصَّحابةِ، وأَخبرَنا أنَّه رضي عنهم وأعدَّ لهم الحُسنى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، وكلٌّ منهم له سَعْيٌ مشكورٌ وعملٌ مبرورٌ وآثارٌ صالحةٌ في الإسلام، وبالوقوف على أخبارهم؛ تَحْيَا القلوبُ، وتقوى العزائم، وباقتفاءِ آثارِهم تَحصلُ السَّعادة، وبمعرفةِ مناقبِهم تكونُ القدوةُ بجميلِ الخصال، ونبيل المآثر والفعال، قال ابن الجوزيِّ ﵀: «كَانَ السَّلَفُ يُعَلِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، كَمَا يُعَلِّمُونَهُمُ السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ».

وأكملُ الصَّحابةِ وأفضلُهم وأسبقُهم إلى الخيرات: عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ بنِ عَامرٍ القُرَشيُّ أبُو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي اللَّه عنه وأرضاه، كان مُعَظَّماً في قريش، مُحَبَّباً مَأْلُوفاً، خبيراً بأنساب العرب وأيَّامِهم، يألفونه؛ لعقله وعِلمه وإحسانه، ولَمَّا جاء الإسلامُ بادَرَ إلى تصديق رسولِ اللَّه ﷺ ولازَمَ الصِّدْق، فلم تقعْ منه هَنَّةٌ، ولا وَقْفَةٌ في حالٍ من الأحوال، أَجمعتِ الأُمَّةُ على تَسْمِيَتِه بالصِّدِّيق، يقول

النَّبيُّ ﷺ: «**إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ**» (رواه البخاري).

دُعيَ إلى الإسلام فما كَبَا ولا نَبَا، فكان أوَّلَ مَن آمن من الرِّجال، أبو بكرٍ رضي الله عنه له المواقفُ الرَّفيعة والأيادي الكريمة، رجُلٌ عظيمُ القَدْر، رفيعُ المنزلة.

كان حازماً رحيماً، حليماً كريماً، نافَحَ عن دين اللَّه ونَصَرَ رَسُولَه ﷺ، أوَّلُ الخُلَفاءِ الرَّاشدين، وأوَّلُ العَشَرةِ المُبشَّرِين، شديدُ الحياء، كثيرُ الورَع، غنيٌّ بماله وجاهِهِ وأخلاقِه، لم يَشربِ الخمرَ قَطُّ؛ لسلامة فِطرته وعَقله، ولم يَعبُدْ صَنَماً في حياته؛ بل كان يُكْثِرُ التَّبَرُّمَ منها، ولم تُؤْثَرْ عنه كَذْبَةٌ قط؛ بل كان صِدِّيقاً صَدُوقاً رضي اللَّه عنه وأرضاه.

أوَّلُ من دعا إلى اللَّه؛ فأَسْلَمَ على يديه خمسةٌ من العَشَرَة: عُثمانُ، وطَلْحَة، وسَعْدٌ، والزُّبَيْرُ، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ رضي الله عنهم جميعاً، وهو أوَّلُ مَنْ أُوذِيَ بعد رسول اللَّه ﷺ حتَّى خَرَجَ من مكَّةَ مُهَاجِراً إلى الحَبَشَة، وحَثَوا التُّرَابَ على رَأْسِه، عاش في ذِروة سَنَامِ الصُّحْبَة وأعلى مَرَاتِبِهَا، صَحِب النَّبيَّ ﷺ مِنْ حينِ بَعثَهُ اللَّه إلى أَنْ مات.

كَمُلَ فِي الصُّحْبةِ كمالاً لم يَشْرَكْهُ فيه غيرُه، كان مُؤْنِساً للنَّبِيِّ ﷺ؛ هَاجر وحده مُنْفَرِداً معه، وأقام معه وحده يوم بدرٍ في العَرِيش، مالُه مبارَكٌ؛ يَتَّجِرُ ويَأكلُ مِن كَسْبِه، وإنفاقُه أفضلُ من إنفاق غيره؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «**مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ**» (رواه أحمد)، كان أبعدَ النَّاسِ عن النِّعمةِ الَّتي تُجْزَى، وأولاهم بالنِّعمةِ الَّتي لا

تُجْزَى، أَنْفَقَ في سبيل اللَّه مالَه كلَّه؛ يقول عمر رضي الله عنه: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْماً، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟** قُلْتُ: مِثْلَهُ - أَيْ: تَصَدَّقَ بِشَطْرِ مَالِهِ -، قَالَ: وَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟** قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَداً» (رواه أبو داود).

الصِّدِّيقُ رضي الله عنه شريفُ النَّفْسِ، سامي الرُّوح، لم يَطْلُبْ من مخلوقٍ مالاً ولا حاجةً دنيويَّةً، إذا سَقط سَوْطُهُ من يده لا يقول لِأَحدٍ: نَاوِلْنِي إيَّاه، ويقول: «إِنَّ حِبِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً» (رواه أحمد).

أَرْجَحُ الأُمَّةِ إيماناً؛ اليقينُ والإيمانُ الذي في قلبه لا يساويه فيه أَحَدٌ، لَوْ وُزِنَ إيمانُه بإيمان هذه الأُمَّة ليس فيها رسولُ اللَّه ﷺ لَرَجَحَ بهم، أعلمُ الصَّحابةِ والأُمَّةِ وأذكاهم، كان يقضي ويُفْتِي بحضرةِ النَّبيِّ ﷺ ويُقِرُّه، ولم تكن هذه المرتبة لغيره، وقد عَرَفَ الصَّحابةُ له هذا الفَضْل، قال أبو سعيدٍ الخدري رضي الله عنه: «كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا».

لم تَخْتَلِفِ الأُمَّةُ في عَصْرِه في مسألةٍ إلَّا فَصَلَها، بيَّنَ لهم موتَ النَّبيِّ ﷺ، وثَبَّتَهم على الإيمانِ بعد موته، وبيَّن لهم موضِعَ دفْنه وميراثَه، واستَخْلَفَهُ رسول اللَّه ﷺ على الصَّلاة الَّتي هي عمودُ الإسلام، واستَعْمَلَهُ النَّبيُّ ﷺ على أوَّلِ حَجَّةٍ حُجَتْ من المدينة، قال

شيخ الإسلام رحمه الله: «وَعِلْمُ المَنَاسِكِ أَدَقُّ مَا فِي العِبَادَاتِ، وَلَيْسَ فِي مَسَائِلِ العِبَادَاتِ أَشْكَلُ مِنْهَا، وَلَوْلَا سَعَةُ عِلْمِهِ لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ»، وقال أيضاً: «لَمْ يُحْفَظْ لَهُ قَوْلٌ يُخَالِفُ فِيهِ نَصّاً، ولَا يُعْرَفُ لَهُ مَسْأَلَةٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ غَلِطَ فِيهَا، ثُمَّ الأَقْوَالُ الَّتِي خُولِفَ فِيهَا الصِّدِّيقُ بَعْدَ مَوْتِهِ قَوْلُهُ فِيهَا أَرْجَحُ مِنْ قَوْلِ مَنْ خَالَفَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ».

حياته كلُّها للَّه؛ لم يُفَارِقِ المدينةَ بعد الهجرة إلَّا حاجّاً أو مُعْتَمِراً أو غَازِياً، أَزهدُ الصَّحابةِ في الحياة، ما جَمعه من مالٍ أَنفقه في سبيل اللَّه، تقولُ ابنتُه عائشة رضي الله عنها: «لَمَّا مَاتَ مَا تَرَكَ دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً».

أمينٌ في الأُمَّة، من كُتَّابِ الوَحْيِ المُنَزَّلِ على خيرِ خلْق اللَّه، أَشْجَعُ النَّاس، لَمْ يَكُنْ بعدَ رسول اللَّه ﷺ أَشْجَعُ منه، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه أَقْوَى قَلْباً مِنْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ، لَا يُقَارِبُهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ، لَمْ يُعْرَفْ عَنْهُ قَطُّ أَنَّهُ جَبُنَ عَنْ قِتَالِ عَدُوِّهِ».

أَبُو بَكْرٍ يَقْدُمُ في المَخَاوِف، يَقِي النَّبيَّ ﷺ بنفْسه في بدرٍ في العَريش وحده مع النَّبيِّ ﷺ، وثَبَتَ في أُحُدٍ وحُنَيْنٍ، ولم يَنْهَزِمْ معَ مَنِ انْهَزَم، يقول عن نفْسه: «مَا دَخَلَ قَلْبِي رُعْبٌ بَعْدَ لَيْلَةِ الغَارِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَأَى حُزْنِي قَالَ: **لَا عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ! فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِهَذَا الأَمْرِ بِالتَّمَامِ**»، في دَهْشَةِ العُقُولِ بموت النَّبيِّ ﷺ بثباتِ قَلْبٍ ورَبَاطَةِ جَأْشٍ صَدَعَ بكَلِمَاتٍ مُؤَثِّرَة: «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً؛ فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ»، قال أنسٌ رضي الله عنه:

«خَطَبَنَا أَبُو بَكْرٍ ﭬ وَكُنَّا كَالثَّعَالِبِ، فَمَا زَالَ يُشَجِّعُنَا حَتَّى صِرْنَا كَالأُسُودِ».

قاد الأُمَّةَ بعدَ رسولِها بعدلٍ وحكمةٍ وسُؤْدَدٍ، وأقامَ الإسلام، وأَدخلَ النَّاسَ من الباب الذي خَرَجُوا منه مع كثرة المخالفين من المُرْتَدِّين وغيرهم.

أَسَدُّ الصَّحابةِ رأياً، وأكملُهم عقلاً، كان النَّبيُّ ﷺ إذا اسْتَشَارَ أصحابَه أوَّل مَنْ يَتكلَّمُ أبو بكرٍ ﭬ في الشُّورَى، ويَعْمَلُ النَّبيُّ ﷺ برأيه وحده في الأُمُورِ العظيمة، فإذا خَالَفَهُ غيرُه اتَّبعَ رأيَه دونَ رأيِ مَنْ يُخَالِفُه، كما في أُسَارَى بَدْرٍ وصُلْحِ الحُدَيْبية، وكان عمر ﭬ يُرَاجِعُه في عَهْدِ النُّبوَّة؛ لكمالِ عقلِه ورَجَاحةِ رأيه.

ليسَ في الصَّحابةِ مَنْ أَسْلَمَ أَبُوه وأُمُّه وأَولَادُه وأولادُ أولادِه وأَدْرَكُوا النَّبيَّ ﷺ سواه، قال شيخ الإسلام ﵀: «فَهُمْ أَهْلُ بَيْتِ إِيمَانٍ لَيْسَ فِيهِمْ مُنَافِقٌ، ولَا يُعْرَفُ هَذَا لِغَيْرِ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ يُقَالُ: لِلْإِيمَانِ بُيُوتٌ، وَلِلنِّفَاقِ بُيُوتٌ، فَبَيْتُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ بُيُوتِ الإِيمَانِ».

ومِنْ هذا البيتِ العامرِ بالإيمان خَرَجَتْ عائشةُ بنتُ الصِّدِّيق ﭭ، وفيه تَرَعْرَعَت على يَدِ وَالِدِها، فقد كَانَ صَوَّاماً قوَّاماً مُنْفِقاً مُجَاهِداً، إذا قَرَأَ القُرْآنَ لا يَملكُ دَمْعَه، ولم يَسْمَع النَّاسُ قِرَاءَتَه من البكاء، سَبَّاقٌ إلى البِرِّ والخيرات، في يوم واحدٍ أَصْبَحَ صَائماً وتَبِعَ جِنَازَةً وعَادَ مَرِيضاً وأَطْعَمَ مِسْكِيناً، و«مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ» (رواه مسلم).

أبُو بَكْرٍ أَفْصحُ النَّاسِ وأخطَبُهم؛ كان يَخطبُ عن النَّبيِّ ﷺ في حضورِه وغيبتِه، ويُخَاطِبُ الوُفُودَ؛ تَقْدِمةً للنَّبيِّ ﷺ لا تَقَدُّماً بيْن يديه، لم يَسُؤِ النَّبيَّ ﷺ قطُّ، أحبَّه عليه الصلاة والسلام حُبّاً جَمّاً، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: **عَائِشَةُ**، قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: **أَبُوهَا**، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **عُمَرُ**» (متفق عليه).

كان يَزُورُه النَّبيُّ ﷺ في بيْته أوَّلَ النَّهارِ وآخرَه، ويَأْنَسُ به ويقول: «**أَخِي وَصَاحِبِي**»، قالت عائشةُ رضي الله عنها: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَي النَّهَارِ - بُكْرَةً وَعَشِيَّةً -»؛ يُحَدِّثُه في العِلمِ والدِّين ومَصَالِحِ المُسْلِمين (رواه البخاري)، أَفَلَا نُحِبُّ مَنْ أَحَبَّه نَبِيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «**نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ**» (رواه الترمذي).

النَّبيُّ ﷺ يَرْأَفُ به ويُشْفِقُ عليه؛ لَمَّا رأى النَّبيُّ ﷺ هَمَّهُ في الغَار قال له: «**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**»، تزوَّجَ رسولُنا ﷺ ابنتَه، وكانت أحبَّ النساء إليه، تُوفي في حِجْرِها وحُجْرتها، وكانت مبارَكةً على هذه الأمَّة.

شبَّهَه النَّبيُّ ﷺ بالنَّبِيَّيْنِ إبراهيمَ وعيسَى عليهما السلام في لِينِه في جَانِبِ اللَّه (رواه مسلم).

وَاسَى النَّبيَّ ﷺ بنفْسِه وماله، وأَغْدَقَ مَالَه لرسولِ اللَّه ﷺ لنصرة الإسلام حتى قال ﷺ: «**مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ؛ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَداً يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» (رواه الترمذي)، لذا قال: «**أَبُو بَكرٍ فِي الجَنَّةِ**»؛ بل هو أوَّلُ مَنْ يَدخلُ الجَنَّة مِنْ هَذِه الأُمَّة

بعد نَبيِّها؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي**» (رواه أبو داود)؛ بل ويُدْعَى في الجَنَّة مِنْ بَابِ الصَّلاة والجِهَاد والصَّدقةِ والرَّيَّان.

والصَّحابةُ رضي الله عنهم أَحبُّوه وأَجلُّوه؛ يقول عمر رضي الله عنه: «وَاللَّهِ! لَلَيْلَةٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَيَوْمٌ خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ وَآلِ عُمَرَ» (رواه الحاكم)، ويقولُ: «أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا» (رواه الترمذي)، ويقولُ ابن عمر رضي الله عنهما: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحداً» (رواه البخاري)، ولِمَحبَّتِهم له سَمَّى الصَّحابةُ رضي الله عنهم أولادَهم باسْمِه، فلِعَلِيٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أولادٌ سَمَّى أحدَهُم أبَا بَكْرٍ وآخرَ عُمَر.

تِلْكُم - عبادَ اللَّه - بعضُ مَنَاقِبِ الصِّدِّيق رضي اللّه عنه وأرضاه، وجَزَاهُ عن الإسلام خير الجزاء؛ فَاعْرِفُوا لِصَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ حَقَّه وأَنْزِلُوه مَنْزِلَتَه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

فأَمْرُ آخرِ هذه الأُمَّةِ لا يَصْلُحُ إلَّا بما صَلَحَ به أوَّلُها، وأصحابُ النَّبيِّ ﷺ هم خيرُ الخَلْقِ بعدَ رسولِ اللَّه ﷺ، ومعرفةُ أحوالِهم وأخلاقِهم وسِيَرِهم؛ تُضِيءُ الطَّريقَ أمام المؤمنِ الَّذي يُرِيدُ أَنْ يَعِيشَ مُتَأَسِّياً بمُحَمَّد ﷺ، وأخبارُهم دواءٌ للقلوب، وجِلاءٌ للألباب من الدَّنَس والعيوب، مثالٌ يُحتذى، ونِبْراسٌ يُقتدى؛ لِيَعْرِفَ المُتَأَخِّرُ لِلْمُتقَدِّم فضْلَه، ويَسْعَى على دَرْبِه ونَهْجِه.

فلازِمِ الصِّدقَ في حديثك تكنْ من الصِّدِّيقين، وأَنفِقْ من مالِك ابتغاءَ وجه اللَّه؛ تُكَفَّرْ عنك الذُّنُوب، وأحسِنْ إلى الخلْق؛ فبالإحسان إليهم تَنْجَلِي الهمومُ والكروب، واصبِرْ على الأَذَى في ذات اللَّه فذا دأبُ المُصْلِحِين، واقتَصِرْ على الكسْب الحلال يُبَارَكْ لكَ في المال، وتَعَفَّفْ عمَّا في أيدي النَّاس تَكُنْ أعزَّهم، وازهدْ في الحياة تأتِكَ الدُّنيا رَاغِمَةً.

وباليقين والإيمان تَرْتَقي في درجات الجِنان، وتَزَوَّدْ من العِلم فهو شِعارُ المُوفَّقين، واجعلْ حياتَك كلَّها للَّه تَكُنْ أسعدَ خلْقِ اللَّه، واتَّصِفْ بالأمانة تَكُنْ لك العاقبة، واجْعلِ الحكمةَ مصاحِبةً لِقولِك وفِعْلِك تَكُنْ راجحَ الرَّأي، وأكثِرْ من الصِّيام والصَّلاة وإطعام المساكين وعيادة المَرْضَى واتِّباع الجنائز تُدْعَ من أبوابها في الجِنان، واتَّصفْ بالحِلم والعفو يُغْفَرْ لك، وأَجِلَّ صَحَابةَ رسولِ اللَّه ﷺ فإجلالُك لهم مِن مَحبَّتِك لِنَبيِّك، وأَحِبَّهم تُحْشَرْ معهم، فتلك صفات الصِّدِّيقين فاتَّصِفْ بها؛ لِتَلْحَقَ بهم.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﭬ [(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقِبُوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

خلَقَ اللَّهُ الخلقَ لِعِبَادتِه، وأَرسلَ رُسلَه وأَنزلَ كُتبَه، واصطفى مَن شاء من عبادِه؛ ففضَّلَ النبيِّينَ بعضَهم على بعضٍ، وفضَّل الرُّسلَ على الخلْق؛ وأولُو العَزْمِ أفضلُ مِن سائرِ الرُّسُل، وفضَّلَ السَّابقِينَ الأوَّلِين من المُهَاجرين والأنصار على غيرِهم، وكلُّ خيرٍ فيه المُسْلِمون فإنَّما هو ببركةِ ما فَعله الصَّحابةُ ﭫ الذين بلَّغوا الدِّين.

وأفضلُ الصَّحابةِ: الخلفاءُ الرَّاشدونَ الأَرْبَعَة الَّذين خلَفُوا النَّبيَّ ﷺ في أمَّتِه عِلْماً وعملاً، وكلٌّ منهم له سَعْيٌ مشكورٌ وعملٌ مبرورٌ، وآثارٌ خالدةٌ في الإسلام.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس من شهر صَفَر، سنة ثمان وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وأبُو بَكْرٍ وعُمَرُ رضي الله عنهما هما ساداتُ أهل الجَنَّةِ بعد الأنبياء، ومعرفةُ فضائِلِهِما من أسبابِ مَحبَّتِهِما، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «حُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ومَعْرِفَةُ فَضَائِلِهِمَا مِنَ السُّنَّةِ»، قال ابن الجوزيِّ رحمه الله: «وَكَانَ السَّلَفُ يُعَلِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، كَمَا يُعَلِّمُونَهُمُ السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ».

وأبُو بَكْرٍ أَكملُ الصَّحابةِ وأَسبقُهُم إلى الخيرات، وأتقى الأُمَّةِ بعد نبيِّها وأَكملُهم إيماناً، وَاسَى النَّبيَّ ﷺ بنفْسِه وماله، وكان صاحبَه في هجرتِه، وأَحبَّ الصَّحابةِ إليه.

وخليفةُ أبِي بَكْرٍ ورفيقُه: أميرُ المؤمنين، الفاروقُ، أَبُو حَفْصٍ، عُمَرُ بنُ الخطَّابِ بنِ نُفَيْلٍ القُرَشِيُّ، ثانِي الخلفاءِ الرَّاشدين، وأحدُ العَشَرةِ المُبشَّرين بالجَنَّة، قويُّ الإيمان والدِّين، ذو الفِرَاسَة والفِطْنَة والذَّكَاء، والهَيْبَة والشَّجَاعَة والدَّهَاء، مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ في الجَاهليَّة، وله المكانة الرَّفيعةُ عندهم - إذْ كانت تَبْعَثُه رسولاً إلى القبائل إذا ما وَقعت الحُرُوبُ بينهم، أو بيْنهم وبيْن غيرهم -.

أَسْلَمَ وعُمُرُه سبعةٌ وعِشْرُون عاماً؛ فأَصبحَ في الإسلام الصَّحابيَّ الشُّجاعَ العظيم، الحَازِمَ الرَّحِيم، العَادِلَ الحَكِيم، ومِنْ عُلَمَائِهِم وعُظَمَائِهِم ونُبَلَائِهِم، أَسْلَم بعد بِعثةِ النَّبيِّ ﷺ بِستِّ سنوات بعد تِسْعةٍ وثلاثينَ رَجُلاً؛ فسَبَقَهُم في الفضلِ والمنزلةِ سِوى أَبِي بَكْرٍ.

أحبَّهُ النَّبيُّ ﷺ وقرَّبه إليه وأَدْنَاه منه، قال عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: **عَائِشَةُ**، قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: **أَبُوهَا**، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **عُمَرُ**» (متفق عليه).

ذو الرَّأيِ الثَّاقبِ والعقلِ الرَّاجح؛ كان رسولُ اللَّه ﷺ يُشَاوِرُه في الأمور العِظام؛ فشاوَرَه في أُسَارَى بَدْرٍ وقال له: «**مَا تَرَى يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟**» (رواه مسلم)، وأمرَ النبيُّ ﷺ بالاقتداءِ به فقال: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ**» (رواه الترمذي)، قال الشَّافعيُّ رحمه الله: «لَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي تَفْضِيلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ عَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ»، وكان الصَّحابةُ يُجِلُّونَه في حياةِ النَّبيِّ ﷺ، قال ابنُ عمر رضي الله عنهما: «كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللَّه ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ رضي الله عنهم» (رواه أبو داود).

كان مُعظِّماً للنَّبيِّ ﷺ ومُحبّاً له؛ لَمَّا سمع بوفاةِ النبي ﷺ ولم يَتيَقَّنِ الخبر قال: «لَا أَسْمَعُ أَحداً قَالَ: إِنَّ مُحَمَّداً مَاتَ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ»؛ فلمَّا أيْقنَ بوفاتِه قال: «عُقِرْتُ حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلَايَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ»، ومِنْ أشدِّ المُقْتَفِين لأثرِ النَّبيِّ ﷺ، لَمَّا قبَّلَ الحجرَ الأسودَ قال: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ؛ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» (متفق عليه).

مِن أشدِّ النَّاسِ حِرْصاً على العِلْم؛ كان يَتَنَاوَبُ مع رَجُلٍ من الأنصار مَجَالِسَ النَّبيِّ ﷺ؛ لئلَّا يَفُوتَه شيءٌ من العِلْم، وشَهِدَ له النَّبيُّ ﷺ بالعِلمِ الرَّاسِخ، قال عليه الصلاة والسلام: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ؛**

فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، فَقَالَ مَنْ حَوْلَهُ: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **العِلْمَ**» (متفق عليه).

وهو أعلمُ الصَّحابةِ وأفهمُهُم في دين اللَّه بعد الصِّدِّيق؛ كان يَقضي ويُفتي ويُعلِّمُ الصَّحابةَ القرآنَ، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، فَقُمْتُ لَهُ وَهُوَ يُسَبِّحُ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَانْتَظَرْتُهُ؛ فَلَمَّا انْصَرَفَ دَنَوْتُ مِنْهُ، قُلْتُ: أَقْرِئْنِي آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ فَأَقْرَأَنِي آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ»، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «لَوْ أَنَّ عِلْمَ عُمَرَ وُضِعَ فِي كِفَّةِ مِيزَانٍ، وَوُضِعَ عِلْمُ أَحْيَاءِ الأَرْضِ فِي كِفَّةٍ؛ لَرَجَحَ عِلْمُ عُمَرَ بِعِلْمِهِمْ».

له فضلٌ على أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فهو أوَّلُ مَنْ أَشَارَ بِجَمْعِ القرآنِ في المُصْحَف، وأوَّلُ مَنْ جمعَ النَّاسَ على إمامٍ في صلاةِ التَّراويح، وأوَّلُ مَنْ أرَّخَ التَّاريخَ الهجري، وأوَّلُ مَنْ فَتَحَ الفُتُوحَ ومصَّرَ الأمصارَ واستَقْضى القُضاةَ في البلدان.

رجلٌ مُلْهَم؛ كلامُه من أجمعِ الكلام وأكملِه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ** - أَيْ: مُلْهَمُونَ -، **فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**» (متفق عليه)، قال ابن مسعُودٍ رضي الله عنه: «إِنِّي لَأَحْسِبُ أَنَّ بَيْنَ عَيْنَيْ عُمَرَ مَلَكاً يُسَدِّدُهُ وَيُقَوِّمُهُ».

كان خَطِيباً فَصِيحاً مَهِيباً، ذَا قُوَّةٍ وشَكِيمَة؛ أَسْلَمَ وجَهَر بإسْلَامِه وهِجْرَتِه، قال ابن مسعُودٍ رضي الله عنه: «مَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى أَنْ نُصَلِّيَ عِنْدَ الكَعْبَةِ

حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قَاتَلَ قُرَيْشاً حَتَّى صَلَّى عِنْدَ الكَعْبَةِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ».

عَلَمٌ مِنْ الأعلام؛ فَرِحَ الصَّحابة بإِسْلَامِه؛ قال ابن مسعُودٍ رضي الله عنه: «إِسْلَامُ عُمَرَ كَانَ فَتْحاً، وَهِجْرَتُهُ كَانَتْ نَصْراً»، وقال: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»، مُسْتَمْسِكٌ بدينه مُفْتَخِرٌ به؛ قال للنَّبيِّ ﷺ في الحديبية: «أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: **بَلَى،** قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: **بَلَى،** قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟» (متفق عليه).

قويٌّ في دينِ اللَّه عظيمٌ؛ كان الشَّيطانُ يَفِرُّ منه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**يَا ابْنَ الخَطَّابِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكاً فَجّاً إِلَّا سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ**» (متفق عليه)، فنَصَرَ اللَّهُ به الدِّينَ، وانتشرَ في الآفاق، وقَوِيَتْ شَوكةُ المسلمين، وتَحقَّقت فيه دعوةُ النَّبيِّ ﷺ «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِعُمَرَ**» (رواه ابن ماجه)، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَفِي زَمَنِهِ: انْتَشَرَ الإِسْلَامُ، وَظَهَرَ ظُهُوراً لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ مِثْلُهُ».

كان شُجاعاً مِقْداماً؛ لم يَتَخلَّفْ عن غزوةٍ غزاها النَّبيُّ ﷺ، لم يَكُنْ أَحَدٌ من الصَّحابة أَشْجَعَ منه سوى أَبِي بَكْرٍ، قال ابنُ إسحاقَ رحمه الله: «كَانَ رَجُلاً ذَا شَكِيمَةٍ، لَا يُرَامُ مَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ»، ثَبَتَ مَعَ مَنْ ثَبَتَ في أُحُدٍ وحُنَينٍ مع النَّبيِّ ﷺ حين تفرَّق الجَمْع، ولَمْ يَنْهَزِمْ مَعَ مَنْ هُزِم، وخَافَهُ مُلُوكُ الفُرْسِ والرُّومِ، ووُضِعَ تاجُ كِسْرَى بَيْنَ يَدَيْه.

عابدٌ للَّه قانتٌ، كثيرُ الصَّلاة في اللَّيل، كثيرُ الصِّيام، قال زيادُ بن حُدَيْر ﬀ: «رَأَيْتُ عُمَرَ أَكْثَرَ النَّاسِ صِيَاماً، وأَكْثَرَهُمْ سِوَاكاً»، يُحِبُّ الصَّلاةَ ويَأْمُرُ بها، ويقول: «لَا حَظَّ فِي الإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاة»، وكان يَحُجُّ كلَّ عامٍ في خِلَافَتِه.

مُخْبِتٌ إلى ربِّه أَوَّاهٌ إليه؛ يَعملُ صالحاً، ويدعو ربَّه أن تكونَ أعمالُه كُلُّها صالحةً خالصةً، كان أكثرُ دُعائِه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحاً، وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خَالِصاً، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئاً».

مُكْثِرٌ من تلاوةِ كتابِ اللَّهِ العظيم، خَاشعٌ فيه متدَبِّرٌ له، قال عبدُ اللَّه بن شَدَّاد ﬀ: «سَمِعْتُ عُمَرَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ سُورَةَ يُوسُفَ؛ فَسَمِعْتُ نَشِيجَهُ وَإِنِّي فِي آخِرِ الصُّفُوفِ، وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾».

وقَّافٌ عند آياتِ اللَّهِ؛ لَمَّا نزل قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾، قال: «انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا».

ذو بذلٍ وصدقةٍ وإنفاقٍ؛ أمرَ عليه الصلاة والسلام الصَّحابةَ أَنْ يتصدَّقوا؛ فتَصدَّق بنصفِ ماله.

واثقٌ بربِّه مُتَوكِّلٌ عليه؛ خَرج يَسْتَسْقِي بالنَّاس فما زاد على الاستغفار حتى رَجع، قالوا: «يَا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ! مَا نَرَاكَ اسْتَسْقَيْتَ، قَالَ: لَقَدْ طَلَبْتُ المَطَرَ بِمَجَادِيحِ السَّمَاءِ الَّذِي يُسْتَنْزَلُ بِهِ المَطَرُ - يَعْنِي: الِاسْتِغْفَارَ -».

شديدُ الخوف من اللَّه؛ قال أنسٌ رضي الله عنه: «كُنْتُ مَعَ عُمَرَ؛ فَدَخَلَ حَائِطاً، فَسَمِعْتُهُ يُخَاطِبُ نَفْسَهُ - وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ جِدَارٌ - يَقُولُ: عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، أَمِيرُ المُؤْمِنينَ! بَخٍ بَخٍ، وَاللَّهِ لَتَتَّقِيَنَّ اللَّهَ يَا ابْنَ الخَطَّاب! أَوْ لَيُعَذِّبَنَّكَ اللَّهُ».

سليمُ القلبِ ناصعُ السَّرِيرة؛ قال أبو جعفرٍ الباقرُ رحمه الله في قولِه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ أَيْ: حِقْدٍ، قال: «نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ».

ينزِّهُ نفْسَه عن الوقوع في أعراضِ النَّاس، ويُحذِّرُ منه، يقول: «عَلَيْكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ، وَإِيَّاكُمْ وَذِكْرَ النَّاسِ فَإِنَّهُ دَاءٌ».

مُعْرِضٌ عنِ الدُّنيا مُقْبِلٌ على الآخرة؛ نَقْشُ خَاتَمِه: «كَفَى بِالمَوْتِ وَاعِظاً يَا عُمَرُ»، قال معاويةُ رضي الله عنه: «أَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يُرِدِ الدُّنْيَا، وأَمَّا عُمَرُ فَأَرَادَتْهُ فَلَمْ يُرِدْهَا»، شديدُ الوَرَعِ في دينِ اللَّه؛ قال المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمة رحمه الله: «كُنَّا نَلزَمُ عُمَرَ نَتعَلَّمُ مِنْهُ الوَرَعَ».

ناصحٌ مشفِقٌ على الأُمَّةِ مخلِصٌ لها؛ ولِيَ خلافةَ المُسْلِمينَ عشرَ سنين، ملأَها بالعَدْل والنُّصْح والرَّحمة، كان يَجلسُ للنَّاسِ بعدَ كلِّ صلاةٍ؛ فمَنْ كانت له حاجةٌ نَظَرَ فيها.

حَرِيصٌ على رعيَّتِه؛ يقول: «لَوْ ضَاعَ جَمَلٌ ضَيَاعاً عَلَى شَطِّ الفُرَاتِ؛ لَخِشَيْتُ أَنْ يَسْأَلَنِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، وصفَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه زمنَه بقولِه: «كَانَتْ إِمَارَةُ عُمَرَ رَحْمَةً».

قَرُبَ من ربِّه وتَوَاضَعَ؛ فَرَفَعَهُ اللَّه؛ فَتح بيتَ المَقْدِسِ، وأزالَ عنه القَذَى بِردائِه، وطهَّرَه من الأَخْبَاثِ والأَنْجَاس، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ مُتَوَاضِعاً فِي اللَّهِ، خَشِنَ العَيْشِ، خَشِنَ المَطْعَم، شَدِيداً فِي ذَاتِ اللَّهِ، يَرْقَعُ الثَّوْبَ بِالأَدِيمِ، وَيَحْمِلُ القِرْبَةَ عَلَى كَتِفِهِ مَعَ عَظِيمِ هَيْبَتِهِ».

يُقبِلُ إليه الشَّريفُ والوَضِيع، ويُجَالِسُه الغَنيُّ والفَقِير، سَمَتْ نفسُه فتفقَّدَها، كان يقول: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي».

تَمْضِي عليه الأيَّامُ واللَّيَالِي لا يَجِدُ طعاماً يأكلُه؛ قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: **مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟** قَالَا: الجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ!» (رواه مسلم).

عادلٌ في أحكامِه وقضائِه؛ إذا أتاه الخَصْمَانِ بَرَكَ على رُكْبَتَيْه وقال: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمَا؛ فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُرِيدُنِي عَنْ دِينِهِ»، عَدْلُه بَهَرَ رعيَّته، قال له ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَقَدْ مَلَأْتَ الأَرْضَ عَدْلاً».

رحيمٌ بالضُّعَفاءِ والفُقَراء، قال طلحةُ بنُ عبيدِ اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَرَجَ عُمَرُ لَيْلَةً فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَدَخَلَ بَيْتاً؛ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ ذَهَبْتُ إِلَى ذَلِكَ البَيْتِ، فَإِذَا عَجُوزٌ عَمْيَاءُ مُقْعَدَةٌ؛ فَقُلْتُ لَهَا: مَا بَالُ هَذَا الرَّجُلُ يَأْتِيكِ، قَالَتْ: إِنَّهُ يَتَعَاهَدُنِي، وَيَأْتِي لِي بِمَا يُصْلِحُنِي».

يَعْرِفُ لأهلِ الفَضْلِ فَضْلَهم؛ كان مُجِلّاً لأبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومحبّاً له، وهو أوَّلُ مَنْ بَايَعَه على الخِلَافَة، وكان يُثْنِي عليه بمَحْضَرِ

المُهَاجرين والأَنْصَار، ويقول له: «أَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا، وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه البخاري)، ويقول: «أَبُو بَكْرٍ أَحْلَمُ مِنِّي وَأَوْقَرُ».

وكانَ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه يُحِبُّه ويَوَدُّه، قال أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «مَا عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ رَجُلٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عُمَرَ»، وابنُ مسعودٍ إذا ذَكَرَ عُمَرَ بَكَى وَقَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حِصْناً حَصِيناً لِلْإِسْلَامِ، يَدْخُلُونَ فِيهِ، وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ»، والصَّحابةُ رضي الله عنهم يَرَوْنَ أَنَّ مَحبَّتَه من العبادة؛ قال جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما: «حُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنَ الإِيمَانِ».

وكمالُ محبَّتِه للنَّبيِّ ﷺ أَوْجَبَ حُبَّه لأهلِ بيته، إذْ أَنَّ رعايةَ أهلِ بيتِه ممَّا أمرَ اللَّهُ ورسولُه به، وكان مِنْ أعظمِ المُسْلِمين رعايةً لرسولِ اللَّه ﷺ وأهلِ بيتِه؛ فزوَّجَ عُمَرُ رضي الله عنه بنتَه حفصةَ للنَّبيِّ ﷺ، وكان بيْن عُمَرَ وبيْنَ آلِ رسولِ اللَّه صِهْرٌ، ولا يُزوِّجُ إلَّا من ارتُضِي؛ فزوَّج عَلِيٌّ رضي الله عنه بنتَه أمَّ كُلثومٍ لِعُمَرَ - وأُمُّهَا فاطمةُ بنتُ رسول اللَّه - قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «وَأَكْرَمَهَا إِكْرَاماً زَائِداً، أَصْدَقَهَا أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ».

وكان بيْنَه وبيْنَ آلِ رسولِ اللَّه ﷺ مَودَّةٌ وإِخَاءٌ؛ فَسَمَّى عُمَرُ بنتَه فاطمة، وكان يُثْنِي على عَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه ويقول: «عَلِيٌّ أَقْضَانَا»، وجَعلَ عُمَرُ عَلِيّاً أَحدَ السِّتَّة الَّذين يُسْتَشارُون لِتَوْليةِ الخِلَافةِ مِنْ بعدِه، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «لَا زَالَ عُمَرُ مُكْرِماً لِعَلِيٍّ وَسَائِرِ بَنِي هَاشِمٍ، يُقَدِّمُهُمَا عَلَى سَائِرِ النَّاسِ»، وعَلِيٌّ رضي الله عنه سَمَّى ابنَيْه أَبَا بَكْرٍ وعُمَر، وحَجَّ عُمَرُ رضي الله عنه بأزواجِ النَّبيِّ ﷺ في آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّها بالنَّاس.

جعلَ الفَارُوقُ عُمَرُ لآلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وقَرَابتِه مَنْزلةً عَاليةً في نفْسِه؛ فأَحَبَّهم وأَحبُّوه وأَثْنَوْا عليه، قالت عائشة ﵂: «كَانَ - وَاللَّهِ - أَجْوَدَنَا، كَانَ نَسِيجَ وَحْدِهِ»؛ بل كَانُوا يَأْنَسُونَ بسيرتِه وذكرِ فضائلِه، تقول عائشة ﵂: «إِذَا ذَكَرْتُمْ عُمَرَ طَابَ المَجْلِسُ».

وابنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عبدُ اللَّه بنُ عبَّاسٍ ﵄ يقدِّمُه على الصَّحابةِ، ويقول: «شَهِدَ عِنْدِي رِجَالٌ مَرْضِيُّونَ، وَأَرْضَاهُمْ عِنْدِي عُمَرُ» (رواه البخاري).

وعَلِيٌّ ﵁ يُحِبُّه ويُجِلُّه، ويقول: «خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ»، وكان عَلِيٌّ ﵁ مِنْ أَشدِّ النَّاسِ حُزْناً على وَفَاةِ عُمَرَ، لَمَّا وُضِعَتْ جِنَازَةُ عُمَرَ جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَتَخَلَّلُ الصُّفُوفَ، ثُمَّ قَالَ: «أَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ؛ فَإِنِّي كَثِيراً مَا كُنْتُ أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**» (متفق عليه).

قال ابن الجَوزيِّ ﵀: «جَمَعَ عُمَرُ مِنَ العِلْمِ وَالعَمَلِ مَا أَدْهَشَ العُلَمَاءَ وَالعَامِلِينَ»؛ فرضيَ اللَّهُ عن عُمَرَ وأرضاه، وأَجزلَ لهُ أحسنَ الجزاء على حُسن صُحْبَتِه لنبيِّه، وصِدْقِه في إيمانِه، وقوَّتِه في عقيدتِه، ونشْرِه لدينِ اللَّه في الآفاق.

وما أَحوجَ المسلمين إلى التَّأسِّي بأعمالِه، والتَّحلِّي بفضائلِه، واكتسابِ مناقبِه ومسابقتِهم إلى الطَّاعات مثلَه؛ ليَظْفَروا بالسَّعادةِ والرِّضوان، والخيرِ والجِنان.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

محبَّةُ الصَّحابةِ عبادةٌ عظيمةٌ من أَجَلِّ العبادات، ومِنْ أسبابِ دخولِ الجَنَّةِ والحَشْرِ معهم، جاء رجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: **المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» (متفق عليه).

وقد وَعدَ اللَّهُ جميعَ الصَّحابةِ بالجَنَّة؛ قال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ أي: الجنَّة، قال ابن حَزْمٍ ﵀: «الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ قَطْعاً».

وكلُّ مؤمنٍ آمنَ باللَّهِ فللصَّحابةِ عليه الفضلُ إلى يومِ القيامة؛ فهم أكملُ هذه الأُمَّةِ عقلاً وعِلْماً وفِقْهاً ودِيناً، ولهم من السَّوابقِ والفَضَائلِ والصُّحبةِ ما ليسَ لغيرِهم، ولا يُدَانِيهِم مَنْ بعدَهُم؛ قال ﵊: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**» (متفق

عليه)، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ القَوْمِ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِيناً أَنَّهُمْ خَيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ»؛ فوَاجبٌ علينا مَحبَّتُهم، والتَّرضِّي عنْهُم، واقْتِفاءُ أَثَرِهم، ونَشْرُ فضائِلِهم، ومعرفةُ منزلتِهم وقدرِهم.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ﵁ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

اصطفَى اللَّه لهذه الأُمَّة خيرَ الرُّسُل، واختارَ سبحانه لصُحبةِ نَبيِّه خيرَ رجالٍ في أُمَّته، لا كانَ ولا يكونُ مِثْلُهُم، غَفر اللَّهُ ذنْبَهم ورَفَع مَكَانَتَهم ورضِيَ عنهم؛ بإيمانهم وإخلاصهم وصُحبتهم وصِدْق نُصرتِهم للنَّبيِّ ﷺ؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وممَّا يزيدُ في الإيمان: معرفةُ سِيَرِ من اتَّصَف بالصُّحبة، وبَادَر إلى التَّصديقِ، وآزَر النَّبيَّ ﷺ ونَصَره، قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِنَ السُّنَّةِ: ذِكْرُ مَحَاسِنِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلِّهِمْ أَجْمَعِينَ»، والدُّعاءُ لهم قُرْبةٌ، والاقتداءُ بهم وَسِيلةٌ.

ومَحبَّتُهم من أُصولِ الدِّين، قال الطَّحاويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ».

وأفضلُ أولئكَ الجِيلِ الفَذِّ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أرسخُهم إيماناً وأغزَرُهم علماً، وأكثرُهم ملازمةً للنَّبيِّ ﷺ.

ثمَّ عُمَرُ الفَارُوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَلِيهِ في الفَضْلِ والخِلَافةِ، كان حِصناً حصيناً للإسلام في قوَّة سيرتِه وكمالِ عدْله، وما لَقِيَه الشَّيطانُ قطُّ سَالِكاً فَجّاً إلَّا وسَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّه.

وثالثُهُم: كريمُ اليَد، عَظيمُ النَّفْس، أَبُو عَبدِ اللَّه، عثمانُ بنُ عَفَّانَ بن أَبِي العَاصِي، ذُو النُّورَيْن، أميرُ المُؤْمِنِين، وثالثُ الخُلَفاء الرَّاشدين، وصاحبُ الهِجْرَتَيْن، وأحدُ العَشَرةِ المُبشَّرين بالجَنةَّ، ورَفِيقُ النَّبيِّ ﷺ فيها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَمَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ رَفِيقٌ مِنْ أُمَّتِهِ مَعَهُ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ هَذَا رَفِيقِي مَعِي فِي الجَنَّةِ**» (رواه أحمد).

يَجْتَمِعُ مع النَّبيِّ ﷺ في جَدِّه الثَّالِث، وهو حَفِيدُ عَمَّةِ النَّبيِّ ﷺ

البَيْضَاء بنتِ عبد المطَّلب، لَمْ يَتَزَوَّجْ رجُلٌ من الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ ابنتَيْ نبيٍّ غيرَه.

أَسْلَمَ قَدِيماً على يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، فكانَ رَابعَ أربعةٍ في الإسلام، وبَايَعَ عنه ﷺ بِيَدِه في بَيْعَةِ الرِّضْوَان، وقال: «**هَذِهِ يَدِي، وَهَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**» (رواه أحمد).

أَطْوَلُ الخُلَفاء الرَّاشِدِين خِلَافةً، مَكَثَ أَمِيراً لِلْمُؤْمِنين اثنَيْ عَشَرَ عاماً.

كثيرُ العبادةِ خَاشعٌ للّه؛ لمَّا نَزل قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾؛ قال عُمَرُ رضي الله عنه: «هُوَ عُثْمَانُ».

مُطِيعٌ للنَّبِيِّ ﷺ، مُقْتَفٍ أَثَرَه، وَفِيٌّ له ولِصَاحِبَيْه أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ، قال: «صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَبَايَعْتُهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَصَيْتُهُ وَلَا غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عز وجل، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ» (رواه البخاري)، قال عبد الرَّحمن بن سَمُرَة رضي الله عنه: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ».

وَجِلٌ مِنْ رَبِّه يَتَذَكَّرُ آخِرَتَه، كثيرُ الزِّيارَةِ لِلْمَقَابِر، إِذَا وَقَفَ على القَبْرِ يَبْكِي حتَّى تَبْتَلَّ لِحْيَتُه.

ثَابِتٌ بِيَقِينِه، قُدوةٌ لغيره؛ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بالاقتداء به، ووَصفه بالأمين؛ قال النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّكُمْ تَلْقَوْنَ بَعْدِي فِتْنَةً وَاخْتِلَافاً** - أَوْ قَالَ: **اخْتِلَافاً وَفِتْنَةً** -، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنَ النَّاسِ: فَمَنْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:

عَلَيْكُمْ بِالأَمِينِ وَأَصْحَابِهِ، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى عُثْمَانَ بِذَلِكَ» (رواه أحمد).

ومَنْ تَعرَّفَ على اللَّهِ في الرَّخَاء؛ عَرَفَهُ في الشِّدَّة، وعَصَمَهُ من الفِتَن، ذَكَر النَّبيُّ ﷺ الفِتَن ذات يومٍ فقال: «**هَذَا يَوْمَئِذٍ عَلَى الهُدَى** - وَأَشَارَ إِلَى عُثْمَانَ -» (رواه الترمذي).

سليمُ الصَّدْر؛ لا يَحمِلُ حَسَداً أو حِقْداً على أَحَدٍ؛ قال عَلِيٌّ رضي الله عنه: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعُثْمَانُ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾».

عَفِيفٌ، حافظٌ لدينِه، يقول: «فَوَاللَّهِ! مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ» (رواه أحمد).

دَمْثُ الأَخْلَاق، وَهَبَهُ اللَّه عِلماً؛ فكان الصَّحَابةُ يَرْجِعُونَ إليه، قال ابن سِيرِين رحمه الله: «كَانُوا يَرَوْنَ أَعْلَمَهُمْ بِالمَنَاسِكِ عُثْمَانَ».

مَنَحَهُ اللَّهُ إيماناً رَاسِخاً وعَقْلاً رَاجِحاً، بَعثَه النَّبيُّ ﷺ يُفاوِضُ قُرَيْشاً في الحُدَيْبية، قال ابنُ عمر رضي الله عنهما: «فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ» (رواه البخاري)، قال الشَّعْبِيُّ رحمه الله: «كَانَ عُثْمَانُ فِي قُرَيْشٍ مُحَبَّباً يُوصُونَ إِلَيْهِ وَيُعَظِّمُونَهُ».

وجَعَلَه عُمَرُ رضي الله عنه أَحَدَ أَصحابِ الشُّورَى السِّتَّة مِنْ بَعْدِه، فكانَ خيرَهم؛ فاختارُوه خليفةً للمُؤْمِنين ولَمْ يَعْدِلُوا به أَحداً، قال ابن مسعُودٍ رضي الله عنه حِينَ بايَعُوه بالخِلَافة: «بَايَعْنَا خَيْرَنَا، ولَمْ نَأْلُ»، قال الإمامُ أحمدُ رحمه الله: «لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى بَيْعَةِ أَحَدٍ مَا اجْتَمَعُوا عَلَى بَيْعَةِ عُثْمَانَ».

والإنفاقُ في مَرْضَاةِ اللَّهِ مِنْ عَلَامَاتِ صِدْقِ الإِيمَانِ ومَحبَّة المُؤْمِنِينَ والتَّوكُّلِ على اللَّه، ولِعُثْمَانَ ﭬ اليَدُ الطُّولَى في البَذْلِ والعَطَاءِ، نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ في وُجُوهِ القَوْمِ يومَ جَيْشِ العُسْرة - والمُسْلِمُون يومئذٍ في شدَّةٍ وفاقَة - فقال: «**مَنْ يُجَهِّزْ هَؤُلَاءِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ**، قَالَ عُثْمَانُ: فَجَهَّزْتُهُمْ حَتَّى لَمْ يَفْقِدُوا عِقَالاً وَلَا خِطَاماً» (رواه النسائي).

واشْتَرَى بيتاً؛ لِتَوْسِعَةِ مسجد النَّبيِّ ﷺ في عَصْرِ النُّبوّة لمَّا سَمع النَّبيَّ ﷺ يقول: «**مَنْ يُوَسِّعُ لَنَا بِهَذَا البَيْتِ فِي المَسْجِدِ بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ؟**» (رواه أحمد).

وأَعْتقَ من المَمَالِيكِ ما لا يُحصَى، كان يقول: «مَا مَرَّتْ عَلَيَّ جُمُعَةٌ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا وَأَنَا أَعْتِقُ فِيهَا رَقَبَةً»، وقال لِمَوَالِيهِ يومَ حِصَارِه: «مَنْ أَغْمَدَ سَيْفَهُ؛ فَهُوَ حُرٌّ».

والحياءُ خُلُقٌ رَفيعٌ يَجْمَعُ المُرُوءَات، وعُثْمانُ ﭬ كان حيِيّاً حتى مع نفْسه، يكون في بيته وحده والبابُ مُغلَقٌ عليه فما يَخلعُ عنه ثوبَه ليفيض الماءَ عليه، ويَمنَعه الحياءُ أن يُقيمَ صُلْبَه وهو يَغتسل، وليس في هذه الأمَّة من يُدانيه في حَيَائِه؛ قال ﷺ: «**أَشَدُّ أُمَّتِي حَيَاءً: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ**» (رواه أبو نُعَيْم).

وكان النَّبيُّ ﷺ يَسْتَحِي منه، قَعد النَّبيُّ ﷺ ذاتَ يومٍ في مكانٍ فيه ماءٌ قد انكشَف ثوبُه عن ركبتَيْه، فلمَّا دَخَلَ عُثْمَانُ غطَّاها (متفق عليه)، والملائكةُ تَسْتَحِي منه، كان النَّبيُّ ﷺ مُضْطَجِعاً على فِرَاشِه، فلمَّا دَخلَ

عُثْمَانُ جَلَس وقال: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ؟» (رواه مسلم).

والقرآنُ كلامُ ربِّ العَالَمِين، وصَفَهُ اللَّهُ بالبرَكةِ والكَرَمِ والهُدَى، مَنْ قَرُبَ منهُ نَالَتْهُ البرَكة، وعَلَتْ عند اللَّهِ دَرَجتُه، وكان رضي الله عنه مُحِبّاً لكِتابِ اللَّه، قال الحسن: «مَا مَاتَ عُثْمَانُ حَتَّى خَرِقَ - أَيْ: خَلِقَ - مُصْحَفُهُ مِنْ كَثْرَةِ مَا يُدِيمُ النَّظَرَ فِيهِ»، وقَرَأَ القُرآنَ كاملاً مراراً في ركعةٍ واحدةٍ من العِشَاء إلى الفجر، وكان يقول: «لَوْ أَنَّ قُلُوبَنَا طَهُرَتْ مَا شَبِعْنَا مِنْ كَلَامِ رَبِّنَا».

ومِنْ حَسَنَاتِهِ العَظِيمة: جَمْعُ النَّاسِ على قِرَاءةٍ واحدةٍ، وأَمْرِهِ بكِتَابةِ المُصْحَفِ على العَرْضَةِ الأَخِيرَةِ الَّتي دَارَسَ فيها جِبْرِيلُ النَّبيَّ ﷺ في آخر حياته؛ فأمرَ زيدَ بنَ ثابتٍ رضي الله عنه أن يَكْتُبَ المُصْحَف كاملاً بخطِّ يَدِه، ويُفرِّقَهُ في الأَمْصَار، وسُمِّيَ نَوْعُ خَطِّ المُصْحَف بِاسْمِه، فقيلَ: «الرَّسْمُ العُثْمَانِيُّ»؛ نِسْبةً إلى أَمْرِه وزمانِه وإِمَارَتِه، نفعَه القرآن ونفعَ النَّاسَ به، ولا فلاحَ لهذه الأُمَّةِ إلَّا بالقرآنِ والعَمَلِ به، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «وَفِي عَصْرِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ امْتَدَّتِ المَمَالِكُ الإِسْلَامِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا؛ وَذَلِكَ بِبَرَكَةِ تِلَاوَتِهِ وَدِرَاسَتِهِ وَجَمْعِهِ الأُمَّةَ عَلَى حِفْظِ القُرْآنِ».

ولِتَعَلُّقِه بكِتاب اللَّه؛ كانت خاتِمَتُه عليه، فقُتِلَ والمُصْحَف في حِجْرِه، وسَالَ الدَّمُ على مُصْحَفه.

ومَعَ عبادتِه وخَشْيَتِه للَّه كان خليفةً راشداً مُحَنَّكاً، فتَحَ اللَّهُ على يَدَيْهِ كثيراً من الأَقَالِيم والأَمْصَار، واتَّسَعتْ رِقْعَةُ المُسْلِمين؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**» (رواه مسلم)، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «وَهَذَا كُلُّهُ تَحَقَّقَ وُقُوعُهُ وَتَأَكَّدَ وَتَوَطَّنَ فِي زَمَانِ عُثْمَانَ ﭬ».

وكان النَّاس في خِلَافَتِه في عَيْشٍ رَغِيدٍ وأَمنٍ وَطِيدٍ، وفي أُلْفَةٍ واتِّفاقٍ، وصَفَ الحَسَنُ حالَهُم بقوله: «الأُعْطِيَاتُ فِي خِلَافَتِهِ جَارِيَةٌ، وَالأَرْزَاقُ دَارَّةٌ، وَالعَدُوُّ مُتَّقًى، وَذَاتُ البَيْنِ حَسَنٌ، وَالخَيْرُ كَثِيرٌ، وَمَا مُؤْمِنٌ يَخَافُ مُؤْمِناً، مَنْ لَقِيَهُ فَهُوَ أَخُوهُ مَنْ كَانَ».

ونَهْجُ الصَّحَابةِ: سَلَامةُ قلوبِهِم لبعضهم، ومحبَّتُهم لبعضهم، وتوقيرُ أَحَدِهِم الآخر، وكان الصَّحابةُ ﭫ يُجِلُّون عُثْمَانَ في حياةِ النَّبيِّ ﷺ وبعدَ مَمَاتِه، وكان مُفضَّلاً عندَهُم، قال ابنُ عُمَرَ ﭭ: «كُنَّا نَعُدُّ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيٌّ وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ» (رواه أحمد)، وقال عَلِيٌّ ﭬ بعد وَفَاةِ أَبي بَكْرٍ وعُمَرَ: «كَانَ عُثْمَانُ خَيْرَنَا وَأَحْسَنَنَا طَهُوراً»، وقالت عائشة ﭦ: «إِنَّهُ لَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ وَأَتْقَاهُمْ لِلرَّبِّ».

وكان يحِبُّ صحابةَ رسولِ اللَّه ﷺ؛ فكَنَّى نفسَه باسمِ أَبِي بكرٍ: عبدِ اللَّه، ومِنْ أَبنائِه مَنِ اسمُه عُمَرُ، ومِنْ بَناتِه مَنْ سمَّاهَا عَائِشة.

ولـمَّا عمَّ الرَّخاءُ ورَسَخَ الأَمْنُ وانْتَشَر الإسلامُ في الأرض في خِلَافَتِهِ؛ استعْجَل مَرْضَى القلوبِ موتَه، واسْتَطَالُوا حَيَاتَه؛ فقتَلُوه وعُمُرُه

اثْنَانِ وثَمَانُونَ عاماً، وهو صَائمٌ والمُصْحَفُ في حِجْرِه وهو يَتْلُو كِتابَ اللَّه، وكان مَقْتَلُه أوَّلَ الفِتَنِ في هذه الأُمَّة؛ قال حذيفةُ رضي الله عنه: «أَوَّلُ الفِتَنِ: قَتْلُ عُثْمَانَ، وآخِرُ الفِتَنِ: الدَّجَّالُ».

وحَزِنَ الصَّحابةُ لِمَقْتَلِهِ؛ قال عليٌّ رضي الله عنه يومَ مَقْتَلِ عُثْمَان: «أَنْكَرْتُ نَفْسِي»، ولَمَّا بلغَ سعدَ بنَ أبي وقاص رضي الله عنه خبرُ مَقْتَلِهِ؛ اسْتَغْفَرَ له وتَرَحَّمَ له ودَعَا على مَنْ قَتَلَهُ بقوله: «اللَّهُمَّ أَنْدِمْهُمْ، ثُمَّ خُذْهُمْ»، وكان سَعْدٌ مُجَابَ الدَّعْوَة، وأَقْسَمَ بعضُ السَّلف أنَّه ما مَاتَ أَحَدٌ مِنْ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إلَّا مَقْتُولاً.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فوَاجِبٌ مَحبَّةُ صحابةِ رسولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم والذَّبُّ عنهم ولُزُومُ طَرِيقَتِهِم؛ فقد حَفِظُوا دينَ اللَّه وشريعتَه، وكانوا أَكْمَلَ النَّاسِ حُبّاً للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له وتأسِّياً به.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

المؤمنُ نفعُه مُتعدٍّ لغيره، وما قدَّمَهُ عُثْمَانُ ﷺ لنفْسِه وللإسلام والمسلِمين - مِنَ الأَعْمَالِ والفُتُوحاتِ، ودُخولِ النَّاسِ في الدِّين، وجَمْعِه القرآنَ - كلُّ ذلك حَسنةٌ من حَسَنَاتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق ﷺ، فهو الَّذي دعاه للإسلام فأَسْلَمَ، فكان أحدَ السَّابقِين ومِنَ الخُلَفاءِ الرَّاشدين المأمور بالاقتداء بهم.

فعلى كلِّ مُسْلِم أَنْ يَدْعُوَ غيرَه إلى هذا الدِّينِ والتَّمسُّكِ به؛ «فَوَاللَّهِ! لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً؛ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»، واللَّهُ ذُو الفضلِ العظيم.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، فتقوى الله طريقُ الهُدى، ومُخالفَتُها سبيلُ الشَّقاء.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ وفَاضلَ بينهم، وخيرُ العبادِ نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ، فاصْطَفَاهُ لنفسِه وابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِه، وخيرُ صَحْبٍ للرُّسُلِ أصحابُ نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ، وخيرُهُم خلفاؤُه الأربعة من بعده، وأكمَلُهم وأعلاهم منزلة: الصِّدِّيقُ الأكبرُ، ثمَّ عمرُ الفاروقُ، ثمَّ ذُو النُّورَيْنِ عثمانُ، ورابعُ الأربعةِ العُظماء: أَبُو الحَسَن، عَلِيُّ بنُ أبي طالبِ بنِ عبد المُطَّلِب، ابن عمِ النَّبيِّ ﷺ.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثاني والعشرين من شهر ذي القَعدة، سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

كنَّاه النَّبيُّ ﷺ بأَبِي تُرَابٍ، قال سهل بن سعد: «مَا كَانَ لِعَلِيٍّ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَبِي تُرَابٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ بِهِ إِذَا دُعِيَ بِهَا، وَمَا سَمَّاهُ أَبُو تُرَابٍ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ» (متفق عليه).

كان في حِجْرِ رسولِ اللَّه ﷺ قبل الإسلام؛ فتَرَبَّى في بيتِه، وبَادَرَ إلى الإسلام وهو دُونَ عَشْرِ سِنِينَ.

وكان أهلُ مكَّةَ يَضَعُونَ عندَ رسولِ اللَّه وَدَائِعَهُم؛ لِمَا يَعْلَمُونَ من صدقِه وأَمَانتِه، فلمَّا أراد النَّبيُّ ﷺ أَنْ يُهَاجِرَ أَمَرَ عَلِيّاً ﵁ أَنْ يَتَخلَّفَ عنه بمَكَّةَ حتَّى يُؤَدِّيَ عنه الوَدَائِعَ الَّتي كانت عنده للنَّاس، فلمَّا أدَّاهَا هَاجَرَ ﵁ إلى المدينة، وزَوَّجَهُ النَّبيُّ ﷺ ابْنَتَه فاطمة ﵂ وأَعَانَهُ في جَهَازِهَا.

شَهِدَ له النَّبيُّ ﷺ بالجنَّة أَكْثَرَ من مَرَّةٍ، وأَخْبَرَ أنَّه من الشُّهَدَاء، وأنَّه يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه، وكلُّ مُؤْمنٍ تبعَ النَّبيَّ ﷺ فهو منه كما قال الخليل: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾، وتأكيداً لإيمانِ عليٍّ ﵁ قال له النَّبيُّ ﷺ: «**أَنْتَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْكَ**» (رواه البخاري).

والمؤمنون يَتَوَلَّوْنَ اللَّهَ ورسولَه المُوَالَاةَ المُضَادَّةَ للمُعَادَاة، وأَخْبَرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ عَلِيّاً من المؤمنين الَّذِين يتوَلَّوْن المُؤْمِنِينَ ويتوَلَّوْنَه، فقال: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ؛ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**» (رواه الترمذي)، قال شيخ الإسلام ﵀: «وَفِي هَذَا الحَدِيثِ إِثْبَاتُ إِيمَانِ عَلِيٍّ فِي البَاطِنِ»، و«لَمَّا نَزَلَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَحَسَناً وَحُسَيْناً، فَقَالَ: **اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي**» (رواه مسلم).

حُبُّه علامةُ إيمانٍ، وبغضُه علامةُ نِفَاقٍ، قال عَلِيٌّ رضي الله عنه: «وَالَّذِي فَلَقَ الحبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ! إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ» (رواه مسلم)، وهذا نظيرُ قولِ الرَّسُولِ ﷺ: «**الأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ**» (متفق عليه)، فمَنْ أَحَبَّ عَلِيّاً وأَحَبَّ مَنْ هُوَ أَوْلَى منه بالمَحبَّة وأَعْلَى في المَنْزِلَةِ كالخُلَفَاءِ الثَّلاثةِ الرَّاشِدِين؛ فقد أَتَى شُعْبَةً مِنْ شُعَبِ الإِيمَان، ومَنْ أَبْغَضَهُ أَوْ أَبْغَض مَنْ هُوَ خَيْرٌ منه مِن الصَّحابةِ فقد وقع في شُعْبَةٍ مِنْ شُعَبِ النِّفاق.

نَابَ عن النَّبيِّ ﷺ في تبليغ رَسَائِلِهِ العَامَّةِ غير مرَّة، وأَوْكَلَ إليه النَّبيُّ ﷺ بعضَ أُمُورِه الخاصَّةِ به، ففي الحجِّ: «أَمَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَقُومَ عَلَى بُدْنِهِ، وَأَنْ يَقْسِمَهَا كُلَّهَا، لُحُومَهَا وَجُلُودَهَا وَجِلَالَهَا، وَلَا يُعْطِيَ فِي جِزَارَتِهَا شَيْئاً» (متفق عليه)، ولمَّا وجَدَ النَّبيُّ ﷺ في مرضِ مَوْتِه يوماً خِفَّةً خرج يُهَادَى بين عمِّهِ العبَّاسِ بنِ عبد المُطَّلِب وعَلِيِّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، ولمَّا تُوُفِّي النَّبيُّ ﷺ كان عَلِيٌّ ممَّنْ وَلِيَ تَغْسِيلَهُ ودَفْنَه مع قرابته.

اشتهر بالشَّجاعةِ والإِقْدَام، وأَعْطَاهُ النَّبيُّ ﷺ اللِّواءَ في مواطنَ كثيرة، وشَهِدَ جميعَ المَعَارِكِ مع النَّبيِّ ﷺ، وقَاتَلَ فيها، وأَبْلَى فيها بلاءً حسناً؛ ففي غزوةِ بَدْرٍ أَرَادَ الوليدُ بنُ عُتْبَةَ - أَحَدُ رُؤُوسِ الكُفْرِ - أَنْ يُظهِرَ شَجَاعتَه، فَبَرَزَ له عَلِيُّ بنُ أبي طالب - وعُمُرُه عِشْرُون عاماً -؛ فَقَتَلَه.

وفي أُحُدٍ ثَبَتَ لمَّا انْكَشَف المُسْلِمُون.

وفي غزوةِ الخَنْدَقِ ظَهَرَ عَمْرُو بنُ وُدٍّ للمُبَارَزَةِ - وهو مِنْ صَنَادِيدِ المُشْرِكِين، وكانت النَّاسُ تَهَابُ لِقَاءَه -، فَبَرَزَ له عَلِيٌّ؛ فَقَتَلَه.

وشَهِدَ الحُدَيْبِية، فَبَايَعَ مع الصَّحابةِ النَّبيَّ ﷺ تحتَ الشَّجَرَةِ على الموت، وكان هُوَ مَنْ كَتَبَ الصُّلحَ بين النَّبيِّ ﷺ وأَهْلِ مكَّةَ.

وفي خَيْبَرَ حَمَلَ رضي الله عنه رايةَ النَّبيِّ ﷺ، وقَتَلَ زَعِيمَ اليَهُودِ - مَرْحَباً -، وافْتَتَحَ حِصْنَهُ بعد أَنِ اسْتَعْصَى على النَّاس.

وشَهِدَ غزوةَ حُنينٍ، قال أنسٌ رضي الله عنه: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه أَشَدَّ النَّاسِ قِتَالاً بَيْنَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ».

وفي غزوةِ تَبُوك اسْتَخْلَفَهُ النَّبيُّ ﷺ على المدينة؛ لِمَا يَرَى مِنْ أَمَانَتِه، وقال له: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟** - أَيْ: فِي الصُّحْبَةِ وَالمَنْزِلَة، لَا النُّبُوَّةِ -» (متفق عليه).

كان رضي الله عنه كريمَ المَعْشَر، حَسَنَ الخُلُق، وَفِيّاً، مُعتَرِفاً بفضلِ مَنْ سَبَقَه، مُوَقِّراً للخُلَفَاء قبلَه، مُظْهِراً لمَحبَّتِهم؛ فبادر إلى بَيْعَةِ أَبي بكرٍ رضي الله عنه بعد وفاةِ الرَّسولِ ﷺ، ثمَّ بايعَ عُمَرَ وعُثْمَانَ في خِلَافَتِهما، وكان لثلاثتهم: نِعْمَ الوَزِيرُ والمُسْتَشَارُ في القَضَاء والحَرْب والفَتْوَى، قال عَلِيٌّ رضي الله عنه: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ وَلَّى أَبَا بَكْرٍ أَمْرَ دِينِهِمْ؛ فَوَلَّاهُ المُسْلِمُونَ أَمْرَ دُنْيَاهُمْ، فَبَايَعَهُ المُسْلِمُونَ وَبَايَعْتُهُ مَعَهُمْ، فَكُنْتُ أَغْزُو إِذَا أَغْزَانِي، وَآخُذُ إِذَا أَعْطَانِي، وَكُنْتُ سَوْطاً بَيْنَ يَدَيْهِ فِي إِقَامَةِ الحُدُودِ»، وقال في عُمَرَ وعُثْمانَ مثل ذلك.

وزوَّج بِنْتَه - أُمَّ كلثُومٍ - لِعُمَرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه، ولمَّا تُوُفِّي عمر رضي الله عنه قال عَلِيٌّ رضي الله عنه: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا حَفْصٍ، فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى بِصَحِيفَتِهِ مِنْكَ» (رواه أحمد)، وتَوَاتَرَ عنه رضي الله عنه أنَّه كان يقول: «خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ».

وكان مُحِبّاً لعُثْمَانَ رضي الله عنه مُجِلّاً له، قال: «لَوْ سَيَّرَنِي - أَيْ: أَخْرَجَنِي - عُثْمَانُ إِلَى صِرَارٍ - مَوْضِعٍ شَرْقَ المَدِينَةِ - لَسَمِعْتُ لَهُ وَأَطَعْتُ».

ولمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ رضي الله عنه لم يكن أَحَدٌ أَحَقَّ بالخِلَافةِ منه، فَبَايَعَهُ النَّاسُ وارْتَضَوْه، وكان المسلمون كلُّهم مُعْترِفين بفضلِه وسابقَتِه بعد قَتْلِ عثمان، وأنَّه لَمْ يبقَ في الصَّحابةِ مَنْ يُمَاثِلُه في زمن خلافته، قالت عائشةُ رضي الله عنها لعبدِ اللَّه بن بُدَيْلٍ يومَ وفاةِ عُثْمَان: «الْزَمْ عَلِيّاً؛ فَوَاللَّهِ مَا غَيَّرَ وَلَا بَدَّلَ» (رواه ابن أبي شيبة).

وقام في النَّاس في خلافته بالعدل؛ لا يَحِيدُ عن الكتاب والسُّنَّة، وكان يَتَحرَّى سُنَّةَ الخُلَفَاء الرَّاشِدِين مَنْ قبلَه، ويَعْمَلُ بها، ولا يُخَالِفُها، قال ابن بَطَّة رحمه الله: «لَا نَعْلَمُ أَحَداً مِنَ المُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ رَوَى أَنَّ عَلِيّاً رضي الله عنه خَالَفَ أَبَا بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ وَلَا عُثْمَانَ فِي شَيْءٍ مِمَّا حَكَمُوا بِهِ».

كان عَالِماً مُفْتياً، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «إِذَا حَدَّثَنَا ثِقَةٌ عَنْ عَلِيٍّ بِفُتْيَا؛ لَا نَعْدُوهَا»، قال النَّوويُّ رحمه الله: «وَسُؤَالُ كِبَارِ الصَّحَابَةِ لَهُ

وَرُجُوعُهُمْ إِلَى فَتَاوِيهِ وَأَقْوَالِهِ فِي المَوَاطِنِ الكَثِيرَةِ وَالمَسَائِلِ المُعْضِلَاتِ مَشْهُورٌ».

كان قَاضِياً لا يُدَانَى في الفَصْلِ بين الخُصُوم، بل كان أَقْضَى الصَّحابةِ وأَدقَّهُم نَظَراً في الخُصُومات، بَعَثَهُ النَّبيُّ ﷺ إلى أهل اليمنِ قاضياً، وقال عُمَرُ ﭬ: «أَقْضَانَا عَلِيٌّ».

ومع سَعَةِ عِلْمِه كان وَرِعاً وَقَّافاً عمَّا لا يَعْلَم، خرج على أصحابِه يوماً فقال: «مَا أَبْرَدَهَا عَلَى الكَبِدِ! مَا أَبْرَدَهَا عَلَى الكَبِدِ! فَقِيلَ لَهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: أَنْ تَقُولَ لِلشَّيْءِ لَا تَعْلَمُهُ: اللَّهُ أَعْلَمُ».

ولَمْ يَخُصَّه النَّبيُّ ﷺ بعِلْمٍ دُونَ الأُمَّة، قال أَبُو جُحَيْفَةَ ﭬ لعَلِيٍّ ﭬ: «هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ! مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْماً يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلاً فِي القُرْآنِ» (رواه البخاري).

مُلازمٌ للسُّنَّة حَرِيصٌ عليها، يقول: «مَا كُنْتُ لِأَدَعَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِقَوْلِ أَحَدٍ» (رواه البخاري)، شديدُ التَّحرِّي فيما يَنْقُلُ عن النَّبيِّ ﷺ، قال ﭬ: «إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ» (رواه البخاري).

نَاصِحٌ للأُمَّة، كثيرُ الموعظةِ والعبادةِ والذِّكْر، حريصٌ على الخير والإنفاق.

مَتِينُ الدِّيانَة، لا يُحَابِي في دين اللَّه أحداً؛ بُلِي في خِلافته بفئةٍ جَعَلَتْه إلهاً فحرَّقهم، وبُلِي بفئةٍ كفَّرَتْه فقَاتَلَهُم.

كان مُتقلِّلاً من الدُّنيا مُعْرِضاً عن زَهْرَتِها وفِتْنَتِها، قال مُسْلِمُ بن هُرْمُزَ رحمه الله: «أَعْطَى عَلِيٌّ النَّاسَ فِي سَنَةٍ أَرْبَعَ عَطِيَّاتٍ، ثُمَّ كَنَسَ بَيْتَ المَالِ وَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَقَالَ: يَا دُنْيَا! غُرِّي غَيْرِي!».

ولشَجاعَتِه وقُوَّةِ شَكِيمتِه لَمْ يَقْتُلْه الخوارجُ إلَّا غَدْراً، فقُتِل شَهِيداً رضي الله عنه وهو خارجٌ إلى صلاة الفجر.

ولَمْ يُخَلِّفْ من مَتَاعِ الدُّنيا شيئاً، قال الحسنُ بن عَلِيٍّ - بعد قَتلِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما -: «مَا تَرَكَ مِنْ صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا سَبْعَ مِئَةِ دِرْهَمٍ مِنْ عَطَائِهِ، كَانَ يَرْصُدُهَا لِخَادِمٍ لِأَهْلِهِ» (رواه أحمد).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فَحُبُّ الصَّحابةِ دِينٌ وقُرْبَة، وكلُّ خيرٍ فيه المُسلِمُون إنَّما هو ببركةِ ما فعله الصَّحابةُ الَّذين بلَّغوا الدِّين، واللَّهُ خَصَّ الخلفاءَ الرَّاشِدين بفضائلَ لَمْ يَخْتَصَّ غيرَهم بها، شَهِدَ لهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بالهُدَى والرَّشاد، وأَمَرَ باتِّبَاعِ سُنَّتِهم ولزومِ طَرِيقِهِم، وخيرُ الصَّحابةِ تَبَعٌ لخيرِ الخلفاء الرَّاشِدين، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ؛ فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَدِينِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الهُدَى المُسْتَقِيمِ».

ومَنْ أحبَّ الصَّحابةَ حُشِرَ معهم، ومِنْ حُبِّهِم: نُصْرَتُهُم والذَّبُّ عنهم والثَّناءُ عليهم والاقتداءُ بهم، ومِنْ أَسْبَابِ مَحبَّتِهِم: مطالعةُ سِيَرِهِم وسَماعُها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

فكَمَا خُصَّ بعضُ الصَّحابةِ بِمَنَاقِبَ خاصَّة، فكذلكَ اختُصَّ عامَّتُهُم بالفضلِ ممَّن كان منهم من أهل السَّابقةِ والمَشَاهِدِ العَظِيمَة؛ فمَنْ أَنْفَقَ مِنْ قبلِ صُلْحِ الحُدَيْبِيةِ وقَاتَلَ أَفْضلُ ممَّن أنفَقَ مِنْ بَعْدِه وقَاتَل، والمُهَاجِرُونَ مُقَدَّمُونَ على الأَنْصَار، واللَّهُ قال لِأَهْلِ بَدْرٍ: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**» (متفق عليه)، ولا يَدْخُلُ النَّارَ أحدٌ بَايَعَ تحتَ الشَّجَرَةِ؛ بل قد رَضِيَ اللَّه عنهم ورَضُوا عنه، وقال النَّبيُّ ﷺ لمَنْ شَهِدَ الحُدَيْبِيَة: «**أَنْتُمُ اليَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ**» (متفق عليه).

واللَّهُ وَعَدَ جميعَ الصَّحَابةِ بالجَنَّة، قال سبحانه: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجَنَّةِ، قال ابن حَزْم رحمه الله: «اتَّفَقَ العُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الصَّحَابَةِ فِي الجَنَّةَ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

أُمَّهَاتُ المُؤْمِنِينَ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتَقْوى اللَّه ذِكرى لكلِّ أوَّابٍ، ونجاةٌ للعباد من العذاب.

أيُّها المسلمون:

تَسْعَدُ المرأةُ المُسْلِمةُ باقتفاء أَثَرِ خَيرِ نِساءٍ عِشْنَ في أفضلِ القُرُون، وتَرَبَّيْنَ في أَجلِّ البيوت - بيتِ النُّبوَّة -، أعلى اللَّهُ مَكانَتَهُنَّ وأَجلَّ قَدْرَهنَّ، ونَزَلَ القُرْآنُ بالثَّناءِ عَلَيْهنَّ؛ قال ﷻ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾، زوجاتٌ مبارَكاتٌ ونساءٌ عظيماتٌ.

أُوْلَاهنَّ: المرأةُ العَاقِلةُ الحَاذِقَة، ذاتُ الدِّين والنَّسَب: **خَدِيجةُ**

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

بنتُ خُوَيْلَدٍ رضي الله عنها، نَشَأَتْ على التَّخلُّق بالفضائل، والتَّحَلِّي بالآداب والكرَم، واتَّصَفَتْ بالعِفَّةِ والشَّرَف، كانت تُدْعَى بيْن نِساءِ مكَّةَ بالطَّاهِرَة.

تزوَّجَها النَّبيُّ ﷺ فكَانَتْ نِعْمَ الزَّوجةُ له، آوَتْه بنَفْسِها ومالِها ورَجَاحَةِ عَقْلِها، وفي أَحْزَانِه عليه الصلاة والسلام كان يَأْوِي إليها، ويَبُثُّ إليها هُمُومَه، نَزلَ عليه الوَحْيُ أَوَّلَ نزولِه فَرَجَعَ إليها يَرْجُفُ فُؤَادُه من هَوْلِ ما رَأَى وقالَ لها: «**مَا لِي؟ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**، - فَتَلَقَّتْهُ بِقَلْبٍ ثَابِتٍ - وقَالَتْ لَهُ: كَلَّا، وَاللَّهِ! مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً» (متفق عليه).

لَاحَ الإسلامُ في دَارِهَا فكانتْ أوَّلَ مَنْ آمَنَ من هذه الأُمَّة، قال ابن الأَثِيرِ رحمه الله: «خَدِيجَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ إِسْلَاماً بِإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ، لَمْ يَتَقَدَّمْهَا رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ»، عَظُمَتِ الشَّدائدُ على النَّبيِّ ﷺ في مَطْلَعِ دعوتِه واشتدَّ الإِيذَاء؛ فكانت له قَلْباً حَانِياً ورَأْياً ثَاقِباً، لا يَسْمَعُ النَّبيُّ ﷺ من النَّاس شيئاً يَكْرَهُه ثمَّ يَرْجِعُ إليها إلَّا ثَبَّتَتْه وهوَّنَتْ عليه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ** عز وجل **وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ**» (رواه أحمد).

عظيمةٌ بارَّةٌ بِزَوْجِهَا وأمٌّ حَنُونٌ، جميعُ أولادِ النَّبيِّ ﷺ منها سِوى إبراهيم، أَدَبُهَا رَفيعٌ، وخُلُقُهَا جَمٌّ، لم تُراجعِ المصطفى ﷺ يوماً في الكلام، ولم تؤذِه في خِصام، قال أبو هريرةَ رضي الله عنه: «**أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ** ﷺ **فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذِهِ خَدِيجَةُ ... بَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ**

مِنْ قَصَبٍ - أَيْ: لُؤْلُؤٍ مُجَوَّفٍ -، **لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ**» (متفق عليه)، قال السُّهَيْلِيُّ ﵀: «إِنَّمَا بَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَرْفَعْ صَوْتَهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ تُتْعِبْهُ يَوْماً مِنَ الدَّهْرِ، فَلَمْ تَصْخَبْ عَلَيْهِ يَوْماً، وَلَا آذَتْهُ أَبَداً».

كانت راضيةً مَرْضِيَّةً عند ربِّها، قال جبريلُ للنَّبيِّ ﷺ: «**فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ** - أَيْ: خَدِيجَةُ -؛ **فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا** ﷻ **وَمِنِّي**» (متفق عليه)، قال ابن القيِّم ﵀: «وَهِيَ فَضِيلَةٌ لَا تُعْرَفُ لِامْرَأَةٍ سِوَاهَا»، أَحبَّها اللَّهُ، وأَحَبَّتْهَا الملائكةُ، وأَحبَّها الرَّسولُ ﷺ، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**» (رواه مسلم).

كان النَّبيُّ ﷺ إذا ذكرها أعلى شأنها، وشَكَرَ صُحْبَتَها، تقول عائشةُ ﵂: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ لَمْ يَكُنْ يَسْأَمُ مِنْ ثَنَاءٍ عَلَيْهَا وَالِاسْتِغْفَارِ لَهَا» (رواه الطبراني)، حَفِظَ لها وُدَّهَا ووَفَاءَها؛ فكان يُكْرِمُ صَاحِبَاتِهَا بعدَ وَفَاتِهَا، تقول عائشةُ ﵂: «وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: **إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**» (رواه البخاري)، سَمِعَ النَّبيُّ ﷺ صوتَ أُخْتِهَا هَالَةَ بعد وفاتِها؛ فتذكَّرَها وقال: «**اللَّهُمَّ هَالَةَ**» (متفق عليه).

كَمُلَتْ في دينِها وعقلِها وخُلُقِها، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا ثَلَاثٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ - امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ -، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**» (رواه ابن مردويه)، سبقتْ

نساءَ هذه الأُمَّةِ في الخَيْرِيَّة والشَّرَف والسَّنَاء؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**خَيْرُ نِسَائِهَا** - أَيْ: فِي زَمَانِهَا - **مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا** - أَيْ: مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ - **خَدِيجَةُ**» (متفق عليه)، صَلَحَتْ في نفْسها وأَصْلَحتْ بيتَها، فَجَنَتْ ثَمرَةَ جُهدِها؛ فأَصْبَحَتْ - هي وابنتُها - خيرَ نِسَاءِ العَالَمِين في الجنَّة، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ - امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ -، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ**» (رواه أحمد).

كانت عظيمةً في فؤادِ النَّبيِّ ﷺ فلَمْ يَتزوَّجِ امْرَأَةً قبلَها، ولَمْ يَتزوَّجِ امْرَأَةً معها، ولا تَسَرَّى إلى أَنْ قَضَتْ نَحْبَها، فحَزِن لِفَقْدِها، يقول الذَّهبيُّ رحمه الله: «كَانَتْ عَاقِلَةً، جَلِيلَةً، دَيِّنَةً، مَصُونَةً، كَرِيمَةً، مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

وفي بيت الصِّدقِ والتَّقْوى وُلِدت **عَائِشَةُ بنتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق** رضي الله عنهما، ونَشَأَتْ في بيتِ الإيمان؛ فأُمُّها صَحَابيَّةٌ، وأُختُها أسماءُ ذَاتُ النِّطَاقَيْن صَحَابيَّةٌ، وأَخُوها صَحَابيٌّ، ووالدُها صِدِّيقُ هذِه الأُمَّة، تَرَعْرَعَتْ في بيتِ عِلْم؛ كان أَبُوهَا علّامةَ قريشٍ ونسَّابَتَها، منَحها اللَّهُ ذَكَاءً مُتَدَفِّقاً وحِفْظاً ثَاقِباً، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «لَمْ يَكُنْ فِي الأُمَمِ مِثْلُ عَائِشَةَ فِي حِفْظِهَا وعِلْمِهَا وَفَصَاحَتِهَا وَعَقْلِهَا».

فاقتْ نساءَ جنسها في العلم والحِكمة، رُزقت في الفقه فهماً، وفي الشِّعر حفظاً، وكانت لعلوم الشريعة وِعاءً، قال الذَّهبيُّ رحمه الله: «أَفْقَهُ نِسَاءِ الأُمَّةِ عَلَى الإِطْلَاقِ، ... وَلَا أَعْلَمُ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ - بَلْ وَلَا فِي النِّسَاءِ مُطْلَقاً - امْرَأَةً أَعْلَمَ مِنْهَا».

سَمَتْ على النِّساءِ بِفَضَائِلِها وجَمِيلِ عِشْرَتِها؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**» (متفق عليه).

أَحَبَّها النَّبيُّ ﷺ وما كان لِيُحِبَّ إلَّا طيِّباً، يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: **عَائِشَةُ**، قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: **أَبُوهَا**» (متفق عليه)، لم يَتَزَوَّج بِكراً غيرَها، ولا نَزلَ الوَحْيُ في لِحَافِ امْرَأةٍ سواها، عفيفةٌ في نفْسِها، عابدةٌ لربِّها، لا تَخْرُجُ من دارِها إلَّا ليلاً؛ لئلَّا يَرَاهَا الرِّجَال، تقول عن نفْسِها: «كُنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلاً»، مُحَقِّقَةً قولَ اللَّه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾، قال القُرطبيُّ رحمه الله: «وَالشَّرِيعَةُ طَافِحَةٌ بِلُزُومِ النِّسَاءِ بُيُوتَهُنَّ، وَالانْكِفَافِ عَنِ الخُرُوجِ مِنْهَا إِلَّا لِضَرُورَةٍ، ... فَإِنْ مَسَّتِ الحَاجَةُ إِلَى الخُرُوجِ فَلْيَكُنَّ عَلَى تَبَذُّلٍ وَتَسَتُّرٍ تَامٍّ».

واللَّهُ يَبْتَلِي مَنْ يُحِبُّ، والابتلاءُ على قَدْرِ الإيمان، بُهِتَتْ وَعُمُرها اثنا عشر عاماً، قالت: «فَبَكَيْتُ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّى ظَنَّ أَبَوَايَ أَنَّ البُكَاءَ سَيَفْلِقُ كَبِدِي»، واشتدَّ بها البلاء، قالت: «قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً»، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «فَغَارَ اللَّهُ لَهَا، وَأَنْزَلَ بَرَاءَتَهَا فِي عَشْرِ آيَاتٍ تُتْلَى عَلَى الزَّمَانِ»، فَسَمَا ذكرُها وعَلَا شأنُها لِتَسْمَعَ عَفَافَها وهي في صِبَاهَا، فشَهِد اللَّهُ لها بأَنَّها من الطَّيِّبات، ووعَدَهَا بمغفرةٍ ورزقٍ كريم، لَمْ تَزَلْ سَاهِرةً على النَّبيِّ ﷺ تُمرِّضُهُ وتقومُ بِخِدْمَتِه حتى تُوُفِّيَ في بيتِها وليلتِها، وبين سَحْرِها ونَحْرِها.

وسَلِيمةُ القلب: **سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَة** رضي الله عنها، أوَّلُ مَنْ تَزَوَّجَ بها النَّبيُّ ﷺ بعد خَدِيجَةَ رضي الله عنها، وانْفَرَدتْ به نحواً من ثلاثِ سنين، كانت جليلةً نبيلةً، رُزقتْ صفاءَ السريرة، وَهَبَتْ يومَها لِعَائِشَةَ رضي الله عنها؛ رِعايةً لِقَلْبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ تَبْتَغِي رِضَا ربِّها.

والقَوَّامَةُ الصَّوَّامةُ: **حَفْصَةُ** رضي الله عنها **بِنْتُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ** رضي الله عنه، نَشَأَتْ في بيتِ نُصرة الدِّين وإظهارِ الحقِّ، سبعةٌ مِنْ أَهْلِهَا شَهِدُوا بَدْراً، تقول عنها عائشةُ رضي الله عنها: «وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ».

والمُنْفِقَةُ: **زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ الهِلَالِيَّة** رضي الله عنها، ذاتُ البَذْلِ والمُسَارِعَةِ في الخيرات، مَكَثَتْ عند النَّبيِّ ﷺ شهرين، ثمَّ تُوُفِّيت.

والمُهَاجِرَةُ المُحْتَسِبَة: **أُمُّ حَبِيبَةَ، رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ** رضي الله عنها، ليس في أزواجِه مَنْ هِيَ أَقْرَبُ نسباً إليه منها، ولا في نسائِه مَنْ هِيَ أَكْثَرُ صَدَاقاً منها، ولا فِيمَنْ تَزَوَّجَ بها وهي نَائِيَةُ الدَّارِ أَبْعَدَ منها، عَقَدَ عليها وهي في الحَبَشَة فَارَّةٌ بدينِها، وأَصْدَقَها عنه صاحبُ الحَبَشَةِ وجَهَّزَها إليه.

والصَّابرةُ الحَيِيَّةُ: **أُمُّ سَلَمَة، هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ** رضي الله عنها، من المُهَاجِرَات الأُوَل، لَمَّا عَزَمَتِ الهِجْرَةَ إلى المَدِينَة مع زوجها أَبِي سَلَمَة فرَّقَ قَوْمُهَا بيْنَها وبيْنَ زوجِهَا وطِفلِها، قالت: «فَكُنْتُ أَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ، وَأَجْلِسُ بِالأَبْطَحِ، فَمَا أَزَالُ أَبْكِي حَتَّى أُمْسِيَ سَنَةً كَامِلَةً أَوْ قَرِيباً مِنْهَا، حَتَّى أَشْفَقُوا عَلَيَّ، فَأَعَادُوا إِلَيَّ طِفْلِي»، يَقينُها باللَّهِ رَاسِخٌ.

تُوفِّي عنها زوجُها أَبُو سَلَمَةَ ﭬ فقالت دُعَاءً نَبويّاً؛ فعوَّضَهَا اللَّهُ برسولِ اللَّه ﷺ زوجاً لها، تقول: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْراً مِنْهَا**، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» (رواه مسلم)؛ فاجعلْ هذا الدُّعاءَ ذُخْراً لك عند حلولِ المُصَائبِ؛ يُعَوِّضْكَ اللَّهُ خيراً من مُصِيبَتِك.

وأمُّ المَسَاكِين: **زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ** ﭫ، بِنْتُ عمَّةِ رسول اللَّه ﷺ، نَعِمَتْ بالحَسَبِ والنَّسَبِ والشَّرَفِ والبَهاء، قال عنها أبو نُعَيم ﭬ: «الخَاشِعَةُ الرَّاضِيَةُ الأَوَّاهَةُ الرَّاغِبَةُ»، زوَّجهَا اللَّهُ نبيَّه ﷺ بِنَصِّ كِتَابِه، بلا وَلِيٍّ ولا شاهدٍ؛ قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾.

زواجُ النَّبيِّ ﷺ بها بَرَكَةٌ على المُسْلِماتِ إلى قيام السَّاعة، حين فُرِضَ الحجاب على بَنَاتِ حَوَّاء بعدَ أن تَزَوَّجَها؛ لِيَكُونَ صِيانةً للشَّرفِ والعَفافِ والنَّقاء.

سخِيَّةُ العَطاءِ للفقراءِ والضُّعفاء، كثيرةُ البِرِّ والصَّدقة، ومع شريفِ مكانتِها وعُلُوِّ شأنِها كانت تَعْمَلُ بيدها: تَدْبَغُ وتَخرُزُ وتَتَصَدَّقُ مِنْ كَسْبِها، قالت عنها عائشة ﭫ: «مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً خَيْراً فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ؛ أَتْقَى لِلَّهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثاً، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً» (رواه مسلم).

والعَابِدَةُ: **جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحَارِثِ** ﭫ، من بني المُصْطَلِق، أَبُوهَا سيِّدٌ مُطاعٌ في قومه، وهي مباركَةٌ في نفْسِها وعلى أَهْلِها، تقول عائشةُ ﭫ عنها: «فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا» (رواه أحمد).

كثيرةُ التَّعبُّدِ لربِّها، قانِتَةٌ لِمَوْلَاهَا، كانت تَجلِسُ في مُصَلَّاها تَذْكُرُ اللَّهَ إلى نِصْفِ النَّهار، تقول: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ؛ فَقَالَ: **مَا زِلْتِ عَلَى الحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟** - يَعْنِي: تَذْكُرِينَ اللَّهَ -، قَالَتْ: نَعَمْ» (رواه مسلم).

والوَجِيهَةُ: **صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ** ﭫ، مِنْ ذُرِّيَّةِ هارون ﭐ، كانت شريفةً عاقلةً، ذاتَ مكانةٍ ودينٍ وحِلْمٍ ووَقَارٍ، قال لها النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ** - أَيْ: هَارُونَ ﭐ -، **وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ** - أَيْ: مُوسَى ﭐ -، **وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ** - يَعْنِي: نَفْسَهُ -» (رواه الترمذي)، كانت وليمةُ النَّبيِّ ﷺ عليها في زواجِها: السَّمِنَ، والأَقِطَ، والتَّمْرَ، فكان زواجاً مُيَسَّراً مباركاً.

ووَاصِلَةُ الرَّحِمِ: أُمُّ المُؤْمِنين، **مَيْمُونَةُ بِنْتُ الحَارِثِ الهِلَالِيَّة** ﭫ، مِنْ عُظَمَاء النِّساء، مَنَحَها اللَّهُ صفاءَ القلب، ونَقَاءَ السَّريرَة، وملازمةَ العبادة، تقول عائشةُ ﭫ: «أَمَا إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَتْقَانَا لِلَّهِ وَأَوْصَلَنَا لِلرَّحِمِ» (رواه أبو نُعَيم).

وبعدُ، أيُّها المسلِمون:

فتلكَ سيرةُ الخَالِدَات في الإسلام، أُمَّهَاتِ المؤمنين، مَنَاقبُهنَّ مشرِقةٌ، جَمَعْنَ بين المحاسنِ والفَضَائل.

حقيقٌ بنِسَاء المسلمين أَنْ يَجْعَلْنَهنَّ نِبراساً للحياة؛ يَرْتَشِفْنَ من مَعِينِ مآثِرهنَّ، ويَقْتَدِينَ بِهِنَّ في الدِّين والخُلُقِ ومراقبةِ اللَّه، والانقيادِ التَّامِّ للَّهِ ورسولِه، وملازمةِ العبادة، والإكثارِ من الطَّاعَات، والصِّدْقِ في الحديث، وحفْظِ اللِّسان، والبذلِ للفقراء، وتفريجِ كُرُبَاتِ الضُّعَفَاء، والسَّعيِ لإصلاحِ الأَبْنَاء، والصَّبرِ على تقويمِ عِوَجِهم، والتَّحصُّنِ بالعِلم، وسؤالِ العُلَمَاء الرَّاسِخِين، وملازمةِ السِّترِ والعَفاف والقَرَار في البيوت والحجاب، والبُعدِ عن الشُّبُهاتِ والشَّهَوات، والحَذَرِ من طولِ الأملِ والغفلةِ في الحياة، أو الاعتناء بالظَّاهر مع فساد الباطن، وإطلاقِ البصرِ في المُحرَّمات، والخضوعِ بالقول مع الرجال، وَلْيَحْذَرْنَ من الأَبْوَاقِ الدَّاعِيَةِ إلى التَّبرُّج والاختلاطِ بالرِّجال؛ فَشُمُوخُ المرأة وعِزُّها في دِينِها وحجابها.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

زوجاتُ النَّبيِّ ﷺ عِشْنَ معه في بيتٍ مُتَوَاضعٍ، في حُجُرَاتٍ بُنِيَتْ من اللَّبِنِ وسَعَفِ النَّخْل، ولكنَّه مَلِيءٌ بالإيمانِ والتَّقوى.

صَبَرْنَ مع الرَّسُولِ ﷺ على الفقر والجوع؛ كان يأتِي عَلَيْهِنَّ الشَّهْرُ والشَّهران وما يُوقَدَ في بُيُوتِهِنَّ نارٌ، وتأتي أيامٌ وليس في بُيُوتِهِنَّ سِوى تَمْرةٍ واحدةٍ، ويَمُرُّ زَمَنٌ من الدَّهْرِ ليس فيها سِوَى الماءِ بدون طعامٍ؛ قَناعَةً في العَيْشِ وصَبراً على موعود اللَّه: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾، أُجُورُهُنَّ مُضَاعَفةٌ مرَّتَيْن: ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾.

خَمسٌ منهنَّ تزوَّجهنَّ عليه الصلاة والسلام وأَعْمَارُهنَّ من الأربعين إلى السِّتِّين عاماً؛ حقَّقَ بذلك رِعايةَ الأراملِ وكفالةَ صبيانِهنَّ الأيتام:

تزوَّجَ **خَدِيجَةَ** رضي الله عنها وعُمُرُهَا أربعون عاماً، ولها ثلاثةُ أولادٍ من غيره، وهو لَمْ يَتزَوَّجْ مِنْ قبل.

وتزوَّجَ **زَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمَةَ** رضي الله عنها وهي أَرْمَلَةٌ نَاهَزَت السِّتِّينَ من عُمُرِهَا.

وتزوَّجَ **أُمَّ سَلَمَةَ** رضي الله عنها وهي أَرْمَلَةٌ، ولها ستَّةُ أولادٍ.

وتزوَّجَ **سودةَ** رضي الله عنها وهي أَرْمَلَةٌ، وعُمْرُهَا خَمْسَةٌ وخَمْسُونَ عاماً.

تزوَّجَ من الأقارب مِنْ بناتِ عمِّه وعمَّتِه، وتزوَّجَ من الأباعد، وكان لهنَّ زَوْجاً رَحِيماً بَرّاً كريماً، جميلَ العِشْرَة مَعهنَّ، دائم البِشْر، مُتَلَطِّفاً مَعهنَّ.

فَمَنْ طَلَبَ السَّعادةَ فَلْيَجْعَلْ خيرَ البَشرِ قُدْوَةً له، وَلْتَلْحَقِ المُسْلِمةُ بِرِكَابِ زوجاتِه الصَّالِحَات، فلا فَلَاحَ للمرأة إلَّا بالاقتفاءِ بمَآثِرِهِنَّ في السِّترِ والصَّلاحِ والتَّقوى والإحسانِ إلى الزَّوجِ والوَلَد.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبِيِّه ...

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ



سلسة من خطب المسجد النبوي



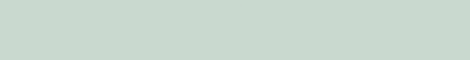











ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-٠٨٤٥-٠